تنبيه

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان

الدكتور هيثم الخياط في حوار عن تدريس العلوم المادية باللغة العربية

ص 9

بين الاستشهاد والانتحار

فريد الأنصاري رحمه الله تعالى ص 8

الأستاذ محمد الينبوعي في ذمة الله

ص 10

بسم الله الرحمن الرحيم

almahajjafes@gmail.com

المفضل فلواتي
المدير المؤسس

المحجة

جامعة نصف شهرية

العدد : 370

المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج

24 محرم 1433هـ – 20 دجنبر 2011م

3 دراهم

افتتاحية

متى يُسمح لهذه الأمة بحق الوجود؟

نعيش اليوم موجة عارمة من المناداة بالحقوق، ونسمع أصواتا ترتفع في كل مكان تتحدث عن الحقوق وتطالب بها بجميع ألوانها وأصنافها ومستوياتها ومجالاتها وأبعادها، ومن قبل الجميع: هيئات وجماعات، أفراداً ودولاً، أحزاباً ومؤسسات، في الداخل والخارج، محليا وإقليميا ودوليا، قوية كانت هذه الجهات أم ضعيفة، مستقلة كانت أم تابعة.

حقا إننا نعيش منذ زمن عصر الثورة في جميع مجالاتها العلمية والتقنية والاقتصادية والسياسية والحقوقية، لكنها كانت في أغلب محطاتها ثورة علينا لا لنا، وغرما لا غنما.

ويذكر التاريخ المعاصر من ذلك ما سمي بالثورات الاشتراكية والشيوعية في العالم الإسلامي التي قامت على حمل أفكار ومبادئ مخالفة للقيم والمبادئ التي كانت تدين بها الشعوب الإسلامية، وسعى الثوار الاشتراكيون بكل ما يملكون من قوة الحديد والنار والإعلام والتهريج على سحق أهل الأرض والعقيدة في الجمهوريات الإسلامية التي استعمرها السوفيات وضموها قسرا إلى «الاتحاد السوفييتي» ونهجوا باسم الثورة نهج تجفيف المنابع، وباسم الحرية والتقدمية والحقوق أعدموا حريات وحقوق الجمهوريات الإسلامية والشعوب المسلمة.

وفي العالم العربي أنشئت جيوب فكرية وإيديولوجية تابعة للغرب بشقيه اللبرالي والاشتراكي لبست قناع الثورة على المحتل، وقناع التحرر الوطني والاجتماعي، وقناع التقدمية والديمقراطية، وقناع الاستقلال ورفض التبعية، ولما تسلمت مقاليد السلطة كشف الثوار القناع وتبين لذي عينين أن الثورة لم تكن على المحتل الدخيل، وإنما على الثابت الأصيل، ولم تكن تحررا وطنيا ولا استقلالا وإنما إمعانا في التبعية والاستعباد والاستذلال بجميع ألوانه وفنونه.

ومرت مرحلة القرن العشرين ولم تكن الحرب فيها – محليا وعالميا– إلا على المسلمين؛ فالحربان العالميتان كانتا تنافسا لتقسيم تركة المسلمين وكأنهم أموات لا وارث لهم إلا الغرب!!،

البقية ص 2

المسؤولية في رعاية مصالح الأمة

د. لخضر بوعلي ص 5

إن المساهمة في الإصلاح ليس من شرطها أن يكون الإنسان في موقع القرار بل يمكن أن تكون من أي موقع، من الإمام الأعظم الذي تولى أمور كل الرعية إلى العبد الذي لا يملك حتى نفسه بل هو ملك لغيره، والكل مشمول بقوله ﷺ «أنت على ثغر من ثغور الإسلام فلا يُؤتينَّ الإسلام من قبلك». فلا يستهينَنَّ أحد بموقعه لأن الاستهانة بالموقع تؤدي إلى إضاعة المسؤولية المتصلة به.

تشتت الولاء: خرق كبير في سفينة المجتمع

د. عبد المجيد بنمسعود ص 11

المتقون هم المتحضرون وبناة الحضارة الإيمانية

د. محمد البوزي ص 7

ولكن العربية لا بواكي لها!!

د. عبد الرحيم بلحاج ص 3

على مطالع قرن جديد

د. عماد الدين خليل ص 12

صناعة الالهة.. هل تبور؟!

د. توفيق الواعي

صناعة الآلهة في دول العالم الثالث من الصناعات المشهورة التي جلبت لها الشقاء والخراب، وأصابتها بالأمراض الاجتماعية الخطيرة التي توطنت في تربتها ولم تستطع منها فكاكاً إلى اليوم، وصناعة الآلهة من الصناعات التي نبغت فيها الأمم المتخلفة، وتربعت على عرشها واستأثرت بها. والغريب أن هذه الصناعة ترتقي مع انحطاط الأمم وتنمحي وتزول مع تقدمها؛ فهي بحق صناعة شيطانية لعينة، وتبدأ صناعة الآلهة وتربيتهم وتأليههم على أيدي سماسرة مهرة، ووصوليين ومنافقين كهنة، يلتفون حول المسؤول يستثمرون فيه الغرور، ويلهبون التطلعات ويشعلون الأهواء، وينفخون الأوداج، وإلا فقل لي بربك: من ألَّه الفراعنة وقد وُلدوا بشراً، ومن صنع الطغاة وقد جاؤوا إلى الدنيا حفاة عراة غرلاً؟ أليسوا دهاقين الضلال ومروضي القردة ومؤلهي الأقزام؟ ومن أوحى إلى الشعوب بتقديس الظلمة والفسّاق من أكاسرة وقياصرة؟ ومن أشاع أن الدم الذي يجري في عروقهم هو دم إلهي؟ كما كانوا يدعون إلى تقديم القرابين لهم وإنشاء الأناشيد بألوهيتهم ويرونهم فوق القانون وفوق البشر وليس للناس قبلهم إلا السمع والطاعة؟ أليس هؤلاء فريقاً من الصناع المهرة الذين تحالفوا مع الشر والفساد ضد شعوبهم فتولوا هم وبجدارة صنع هذه الهالات، وأخذوا وبإتقان يسوسون هؤلاء المتألهة إلى ما يشتهون، ويشكلون الشعوب دمى لا ينطقون بغير ما يهوون؟ ولا نعجب لهذه الصناعة في العصر الحديث، فإن لها جرثومةً قديمةً ومكروباً أزلياً يظهر في الشعوب كلما تحققت أسبابه، وظهرت أجواؤه، فقد رأينا في القديم أن السامري يصنع عجلاً له خوار ويعبّد الناس له، ويقول لمن حوله: ﴿هَذا إلَـهكم وإله موسى﴾(طه: 86).. وقد رأينا المجتمع العربي يعبد الأصنام وينغمس في تقديس الأوثان بصورة بشعة، فكان لكل قبيلة أو مدينة أو ناحية صنم خاص، قال الكلبي: «كان لأهل كل دار من مكة صنم في دارهم يعبدونه، فإذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع في منزله أن يتمسح به، وإذا قدم من سفر كان أول ما يصنع في منزله أن يتمسح به أيضاً»، وعلل هذه الصناعة متنوعة وأسبابها متعددة، منها:

1- ضعف الشعوب، فإنها هي التي تُستَخف وتُستَغفل وتُستَدرج في عصور ظهور الذئاب وبروز الثعالب، الذين يستغلون سذاجة تلك الأمم وجهلها بدلاً من إرشادها والحنو عليها والأخذ بيدها، وصدق القائل: وراعي الشاة يحمي الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لهم ذئاب وقد ذكرنا القرآن الكريم أن فرعون ما صار إلهاً إلا مع شعب مستخفّ: ﴿فاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾(الزخرف : 54). فكان ضياع حلوم الشعوب واستخفاف عقولها سبباً في نكبتها، وتأله الظالمين عليها واستباحتها، لكن بعدما صحا هذا الشعب نفسه نفض كل ذلك وقال: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾(طه : 69)، ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾(طه : 72).

2- اشتغال كثير من المتنورين والمثقفين بالدجل وبيعهم لضمائرهم وتعلقهم بالمال أو بالمنصب والعرض الزائل، فاشتغلوا بذلك سدنة ومدّاحين ومبررين ومؤلهين ومنظرين للفراعنة، وما كان فرعون في الحقيقة إلا صنماً جعلوه إلهاً، وباطلاً جعلوه حقاً، ووهماً جعلوه حقيقةً.. كما جعلوا من أنفسهم ميليشيات للباطل، ومحرضين للضلال، وجلادين للحق وأهله، فكم من مثقف شارك في صنع الإله وتدشين ملكه واختراع الألقاب له وترويض الشعوب على تأليهه!! ولكن هل تصحو الشعوب يوماً فتأكل تلك الآلهة، وترتعش ضمائر المثقفين يوماً فتكف عن هذا الضلال، وتقلع عن هذا المسخ؟ وما أظن إلا أنها ستفعل يوماً فعل "بني حنيفة"، حينما صنعت إلهاً من الحلوى فلما صحت وجاعت أكلته، فقال شاعرهم متهكماً:

أكلت "حنيفة" ربها زمن
التقحم والمجاعة
لم يحذروا من ربهم
سوء العواقب والتباعة

وما أخال شيئاً يحطم تلك الصناعة اللعينة أو يمحو هذا الوهم القاتل غير الإسلام على مستوى الشعوب وعلى مستوى المثقفين، وصدق الرسول ﷺ حين قال: «من أعطى الذلة من نفسه طائعاً غير مكره فليس منا».. فهل يقبل العالم الإسلامي على تلك الرسالة وهذا المنهج؛ حتى يرى العالم كله من جديد كيف تحطم الأصنام وتمحى هذه الصناعة أم أنها صناعة لن تبور، وخصوصاً في العالم الثالث؟ وهل نشهد اليوم الانعتاق من هذه المصائب ويعقل هؤلاء المثقفون، ويتطهرون من أدرانهم وأوزارهم والله يحب المتطهرين؟!

تتمة الافتتاحية

وجاءت مرحلة الحرب الباردة فكانت على المسلمين حربا ساخنة محرقة ممزقة!!.

وحتى عندما انهار الدب القطبي وتكسر منجله وتمزقت أوصاله ولى أتباعه وجهتهم نحو تمثال "الحرية" يرفعون حناجرهم بالتمجيد والتبجيل والولاء وتقديم القرابين: ولم تكن قرابينهم سوى المسلمين حملة هذا الدين، ولم يكن عربون الولاء إلا الانخراط في الحرب على الإرهاب الذي لم يكن إلا حربا على الإسلام استغلها أدعياء التحرر والديمقراطية للإساءة إلى الديمقراطية نفسها!!!

أفلم يأن الأوان لأن تنقشع الغيوم عن المسلمين؟

أفلم يأن الأوان لأن ترفع الوصاية عن الشعوب المسلمة فتأخذ حظها وحقها في التفكير والتعبير عن ذاتها والتدبير المستقل لشؤونها؟

متى تتخلص هذه الشعوب من حكم وكلاء الغرب الذين أغرقوا البلاد والعباد في الذل والتبعية والاستعباد والاستبداد؟ ولم ينجحوا سوى في التجويع والترويع، والتركيع والترقيع؟

- متى تعطى هذه الشعوب حقها في تسيير شؤونها الداخلية والخارجية باستقلال، وفق مؤسساتها المنبثقة من عقيدتها وشريعتها وتجربتها التاريخية في الاجتهاد والتنزيل؟

- وقبل ذلك وبعد ذلك، متى تعطى حقها في امتلاك ما به تقام الحضارات من العلم والصناعات وحقها في الوجود الحضاري والمشاركة في تدبير شؤون الأرض؟.

حلاوة الاعتزاز بالانتساب للاسلام (2)

سعيد بن جبير يتحدى الحجاج :

المفضل فلواتي
رحمه الله تعالى

«خُذْهَا مِنِّي حَتَّى تَلْقَانِي بهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

قائمة التحدي طويلة، فكل صحابي كان جبلا شامخا في تحدي الكفر، وعلى رأس هؤلاء:

- **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه : الذي عندما أسلم لم يطق صبرا عن الجهر بإسلامه أمام أطغى الفجرة الكفرة من قريش، بل لم يشعر بالاطمئنان التام حتى أخرج الرسول ﷺ والمسلمين جميعا في شبه ما يسمى اليوم مظاهرة إسلامية غير مسبوقة فأعز الله عز وجل به الإسلام أيما إعزاز.

- **وعبد الله بن مسعود** رضي الله عنه : أول من جَهَر بالقرآن في أندية قريش، ولم يسكُتْ -رغم إيذائه- حتى بلغ مُرَادَه من إسماع الكفرة ما يغيظهم.

إلى غير هذين الجَبَلَيْن من جبال الصُمود والتحدي كبلال وابن مظعون رضي الله عنهم، إلا أننا نريد أن نقتطف باقة من عصر التابعين الذين ورِثوا عن أسلافهم الصحابة خصلة الثبات على الحق إلى النهاية مهما كان الطغيان.

ويأتي على رأس هؤلاء :

سعيد بن جبير الذي لم يرضخ لظلم الحجاج فسلك في الأول طريق الاختفاء، ولكن عندما قُبض عليه، كان هذا الحوار بينهما :

الحجاج : ما اسمك؟
سعيد : سعيد بن جُبير
الحجاج : بَلْ أنت شقي بن كُسير
سعيد : بل كانت أمي أعلمُ باسمي منك.
الحجاج : شقيتْ أمك وشقيتَ أنت
سعيد : الغيبُ يعلمُه الله
الحجاج : لأُبْدِلَنَّك بالدُّنيا نارا تلَظَّى
سعيد : لَوْ علمْتُ أنَّ ذلك بِيَدِكَ لاتَّخَذْتُكَ إِلَها
الحجاج : فما قولك في محمد؟
سعيد : نبي الرحمة وإمام الهدى
الحجاج : فما قولك في علي؟ أهو في الجنة أم في النار؟
سعيد : لو دَخَلْتُها وعرفتُ من فيها، عرفْتُ أهلها
الحجاج : فما قولك في الخلفاء؟
سعيد : لَسْتُ عليهم بوكيل
الحجاج : فأيُّهُمْ أعْجَبُ إليك؟
سعيد : أرضَاهُمْ لخَالقي
الحجاج : فأيهم أرضَى للخالق؟
سعيد : عِلْمُ ذلك عند الذي يعلم سِرّهم ونجواهم
الحجاج : فما بالك لم تضْحَكْ؟
سعيد : وكَيْفَ يَضْحَكُ مخلوق خُلِق من طين والطِّينُ تَأْكُلُه النَّارُ؟
الحجاج : فما بالُنا نضحك؟
سعيد : لَمْ تستوِ القلوبُ
الحجاج : يجمعُ اللؤلؤ والزبرجد والياقوت، ويضعه بين يديه
سعيد : إن كنتَ جمعتَ هذا لتتقي به فزع يوم القيامة فَنِعْمَ، وإلا ففزعة واحدة تذهل كل مُرضعة عما أرضعت، ولا خير في الدنيا إلا مَا طاب وزكا.
الحجاج : اختَرْ ربا سعيد أي قتلة أقتلك
سعيد : اختر أنت لنفسك، فوالله لا تقتلني قتلة إلا قتلك الله مثلها في الآخرة
الحجاج : أتريد أن أعفُوَ عَنْك
سعيد : إن كان العفو فمن الله، وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر
الحجاج : اذهبوا به فاقتلوه
سعيد : يخرج ضاحكا ويُردُّ
الحجاج : ما أضحكك؟
سعيد : عجبتُ من جرأتك على الله وحلم الله عليك
الحجاج : أمر بالنطع فبُسط، فقال : اقتلوه
سعيد : وجهتُ وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين
الحجاج : كُبُّوه على وَجْهه
سعيد : منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى
الحجاج : اذْبَحُوهُ
سعيد : أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، خُذْهَا مِنِّي حتى تلقاني بها يوم القيامة. اللهم لا تُسَلِّطْه على أحَدٍ يقتله بَعْدي(1)

1- وفيات الأعيان، 371/2، وانظر المبتكرات في الخطب والمحاضرات لوحيد عبد السلام بالي 146 وما بعدها.

جريدة المحجة

■ المدير المؤسس : ذ. المفضل فلواتي

■ المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج

■ مسؤول الإخراج : رشيد صدقي

الموقع الإلكتروني : www.almahajja.net

عنوان المراسلة : حي عز الله، زنقة 2 رقم 3- فاس -المغرب
الهاتف : 931113 (0535)

الإيداع القانوني : 1994- 61
رقم الصحافة : 11/ 91
الترقيم الدولي : 3627- 1113

الطبع : إكو برانت - البيضاء
التوزيع : سابريس

أحزاب التحالف الحكومي توقع على ميثاق للأغلبية

تطوان نيوز :

وقعت الأحزاب السياسية الأربعة المشكلة للأغلبية الحكومية على ورقة للعمل المشترك أسمتها بوثيقة الأغلبية الحكومية كإعلان مبادئ للعمل الموحد ما بين الأحزاب في الحكومة المغربية الجاري التفاوض بشأن تركيبتها.

وتشير الوثيقة إلى العمل المشترك على تفعيل مقتضيات الدستور الجديد الذي صوت عليها المغاربة في يوليوز المنصرم، مع خدمة المصالح العليا للمملكة المغربية، والالتزام بمستوى عال من التنسيق والانسجام والتضامن في تحمل الأغلبية الحكومية كامل مسؤولياتها الدستورية والسياسية لتدبير شؤون المغرب، وتنص الوثيقة المكونة من 3 صفحات على المواظبة الفعالة في عمل البرلمان والحكومة وترسيخ حضورها الوازن كأغلبية سياسية وبرلمانية، وتشدد الوثيقة على تقوية المد الإصلاحي الذي أتى به الدستور الجديد خاصة الفصل ما بين السلط والتوازن بينها مع إقرار استقلالية القضاء وتعزيز الحريات والحقوق السياسية والمدنية والاقتصادية والاجتماعية.

مصري يدشن أول موقع إلكتروني لتعليم القرآن بـ 7 لغات للمكفوفين

توصل الباحث المصري الدكتور بهاء خيري صالح إلى إطلاق أول موقع عالمي لتعليم القرآن الكريم بالاستماع إليه وحفظه بسبع لغات على شبكة الإنترنت.

وأوضح صالح أن الموقع المخصص لخدمة المكفوفين وضعاف البصر وغير الناطقين باللغة العربية يساعد على إمكانية التصفح والاستماع إلى أي سورة من القرآن الكريم، مؤكداً أنه يمكن لمن لا يجيدون القراءة والكتابة مثل الأميين والأطفال أن يستفيدوا من هذا الموقع، إذ يمكنهم الوصول إلى السورة المطلوبة أو نطق الآيات المرغوب في حفظها أو الاستماع إليها من خلال التوجيهات الصوتية.

وقال الباحث: "لقد راعيت في تصميم الموقع أن يكون مبسطًا ليسهل على الشخص العادي المبصر أن يتعامل معه، حيث إن الموقع يعمل حاليًا بـ7 لغات هي الإنجليزية، الفرنسية، الصينية، الروسية، الإندونيسية بجانب اللغة العربية".

المغرب يطلب من الأسطول البحري الأوروبي مغادرة مياهه الإقليمية

المساء : في أول رد فعل له بعد رفض البرلمان الأوروبي تجديد اتفاقية الصيد، طالب المغرب الأسطول الأوروبي بمغادرة المياه الإقليمية الوطنية، حيث يفترض فيه أن يكون قد كف عن مزاولة نشاطه قبيل منتصف ليلة الأربعاء الماضي.

ويجد قرار المغرب مسوغه في تصويت البرلمان الأوربي، أول أمس الأربعاء، على قرار يقضي بعدم تمديد البروتوكول السنوي لاتفاقية الصيد البحري بين المغرب والاتحاد الأوروبي.

وقال بلاغ لوزارة الخارجية والتعاون المغربية، إنه لم يعد مسموحا للأسطول الأوروبي بمزاولة أي نشاط للصيد البحري في المياه الإقليمية الوطنية، وإن جميع البواخر العاملة في إطار اتفاقية الصيد البحري بين المغرب والاتحاد الأوروبي مدعوة إلى مغادرة هذه المياه.

حماس: إغلاق جسر باب المغاربة بداية اكتساح الأقصى

حذرت حركة المقاومة الإسلامية الفلسطينية حماس من أن إغلاق "إسرائيل" لجسر باب المغاربة المؤدي للمسجد الأقصى في البلدة القديمة في القدس هو بداية اكتساح لـ"المسجد الأقصى".

وقال المتحدث باسم حماس فوزي برهوم وفق وكالة "فرانس برس": "هذه الخطوة خطيرة تنم عن مخطط صهيوني بدأ بالفعل، وهو الأمر الذي يستلزم استنفارًا عربيًا إسلاميًا لوقف هذا الحدث الخطير".

وكان وزير الخارجية الأردني ناصر جودة قد جدد رفض بلاده المطلق لأي إجراءات "إسرائيلية" يمكن أن تمس بأي شكل بالمقدسات في القدس وهويتها وتراثها بما في ذلك ما يتعلق بباب المغاربة" المؤدي إلى المسجد الأقصى.

وكرر جودة في تصريحات نقلتها صحيفة "الرأي" الأردنية موقف الأردن الرافض لأي إجراء "إسرائيلي" يمس الوضع القائم لباب المغاربة وأي إجراءات تتعلق بهوية القدس ومقدساتها ومحاولات تغيير هويتها العربية.

وهددت حركة المقاومة الإسلامية حماس الاحتلال من مغبة التمادي في استهداف جسر باب المغاربة الذي يعد جزءًا من المسجد الأقصى، ودعت الحركة إلى هبة جماهيرية ورسمية لنصرة القدس والمقدسات.

سورية: وقوع إحدى اشرس المعارك بين الجيش وجنود منشقين

قال ناشطون وسكان محليون إن القوات الحكومية السورية وعشرات جنود منشقين عن الجيش السوري خاضوا معركة عنيفة يعتقد أنها واحدة من أقوى المواجهات منذ انطلاق الانتفاضة السورية المستمرة منذ تسعة أشهر. وقال الناشطون إن قوات من الفرقة المدرعة الثانية عشرة، ومقرها بلدة الإسراء التي تبعد نحو 40 كم من الحدود مع الأردن، اقتحمت بلدة بصر الحرير، فيما شهدت سورية اضرابا عاما تلبية لدعوة من المعارضة. ونقلت وكالة رويترز عن ربة بيت في البلدة، طلبت عدم ذكر اسمها، قولها إنها سمعت أصوات أسلحة رشاشة ثقيلة من دبابات، وأن أطفالها كانوا يبكون خوفا وذعرا. وقال ناشطون إن الإضراب الذي دعت إليه المعارضة تسبب في شل الحركة التجارية في أنحاء عديدة من العاصمة دمشق ومدن سورية أخرى. "الوصول إلى عصيان مدني عام يشمل كافة القطاعات لدفع النظام إلى الانهيار، والكلفة ستكون مزيدا من الضحايا، لكنها ستكون أقل من كلفة انتفاضة مسلحة نرى فيها النظام مصرا على البقاء لتدخل البلاد في سيناريو شبيه بليبيا". وقالوا إنه أكبر إضراب منذ بدأت الانتفاضة في مارس لإسقاط نظام حكم الرئيس السوري بشار الأسد.

رابطة علماء المسلمين تدعو لإنقاذ الشعب السوري وتطالبه بالصمود

مفكرة الإسلام :

دعت رابطة علماء المسلمين إلى العمل لإنقاذ الشعب السوري ووقف الجرائم التي يرتكبها النظام النصيري السوري، مطالبة الجيش والشرطة بعدم الانصياع لأي أوامر بقتل الشعب السوري. جاء ذلك في بيان أصدرته الرابطة، أكدت فيه أنها وعلى مدار الأشهر الماضية تتابع ببالغ الأسى والحزن ما يجري على أرض سوريا، و ما تتعرض له مدينة حمص من حصار خانق ، وإعدام لمقومات الحياة من كهرباء وماء وغذاء، وكأن النظام يريد تكرار مذبحة حماة قبل ثلاثة عقود، علاوة على القتل والترويع للآمنين، وانتهاك لحرمات واستباحة المساجد. وأكدت الرابطة أن النظام السوري النصيري نظام قائم على مبادئ حزب البعث اللاديني وليس له أية شرعية، وإن إيغاله في دماء الشعب السوري وإزهاقه للأرواح قد فتح كل السبل المشروعة في التصدي له، مشددة على أن المقتول من أهل الإسلام في هذه المواجهات وهو يبتغي بها وجه الله نحسبه عند الله تعالى من الشهداء، والمقتول دون نفسه أو عرضه أو ماله فهو شهيد.

الجيش المصري يسيطر على ميدان التحرير بعد اشتباكات مع المعتصمين

المسلم- متابعات :

قام رجال القوات المسلحة المصرية بإخلاء ميدان التحرير من المتظاهرين بشكل كامل اليوم السبت وإحكام قبضتهم علي الميدان في الوقت الذي تراجع فيه المتظاهرون إلى شارع قصر النيل والشوارع الجانبية المحيطة بالميدان، جاء ذلك بعد ليلة دامية من الاشتباكات أمام مجلس الوزراء والتي سقط فيها مئات المصابين.وقام أفراد القوات المسلحة بالتمركز على جميع مداخل ميدان التحرير ومنع الدخول إليه بالإضافة إلى حرق وإزالة جميع الخيام المتواجدة بالميدان, حيث تصاعدت أعمدة الدخان الناتج عن الإحراق. وردد المتظاهرون المتمركزون في الشوارع الجانبية العديد من الهتافات المعارضة للمجلس العسكري والمطالبة بقيامه بتسليم السلطة على الفور إلى سلطة مدنية. كما قامت القوات المسلحة بإلقاء القبض علي بعض الاشخاص الموجودين داخل الميدان .

تركيا تقرر إقامة مساكن جاهزة لإيواء 7500 لاجيء سوري

أعلنت تركيا عزمها على إقامة مساكن جاهزة لإيواء 7500 لاجيء سوري جنوب البلاد يقيمون في خمسة مخيمات بالقرب من الحدود الدولية المشتركة مع سوريا.

وذكرت وكالة الأنباء التركية "الأناضول" أن نائب رئيس الوزراء التركي بشير عطالاي قال خلال مشاركته في منتدى تحالف الحضارات بقطر: "بلادي تخطط لنقل اللاجئين السوريين إلى مساكن جاهزة بدلاً من الخيام التي تأويهم حاليًا". وأضاف عطالاي: "سنقيم مدينة من المساكن المعدة سلفا لإيواء 7500 لاجيء سوري في إقليم كيليس المحاذي للحدود السورية".

ألم قلم

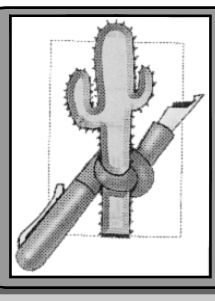

ولكن العربية لا بواكي لها..!

من يتتبع لغات العالم، وخاصة اللغات الأوروبية التي نحتك بها بشكل مباشر يجد أن لهذه اللغات حُماةً على مختلف المستويات، منها السياسية، وفي مقدمها السياسة الرسمية، ومنها الإعلامية على اختلاف أشكالها السمعية والبصرية والمكتوبة بالإضافة إلى الإلكترونية، ومنها العلمية والتعليمية، حيث إن لسان كل قوم هو ذاته لسان تعليمهم وعلمهم، ومنها الاجتماعية، حيث إن كل قوم يصرون على التحدّث بلسانهم الخاص، ويتعصبون لذلك، حتى ولو جمعهم مع الآخرين اتحادٌ أو تجمع سياسي أو اقتصادي.

آخر ما لفت انتباهي في هذا الباب، انتقاد وسائل إعلام فرنسية لما ورد من أخطاء إملائية في رسالة التعزية التي بعث بها "الإيليزي" بفرنسا، في وفاة أرملة الرئيس الأسبق لفرنسا (فرانسوا ميتران). وقد أحصت وسائل الاعلام هذه، ستة أخطاء إملائية كُبرى، في ثلاث فقرات قصيرة تضمنتها هذه الرسالة. بالإضافة إلى علامات ترقيم غير مضبوطة، ولتأكيد ذلك نشرت الرسالة مُصورةً على صفحاتها، وقد حملت تصحيحاً بخط اليد وبقلم مغاير كما يصحح الأستاذ الأخطاء الواردة في أوراق التلاميذ، وبعضُها عزّز وجهة نظره بالرجوع إلى بعض المراجع اللغوية، وخاصة المعاجم.

هكذا تكون وسائل الإعلام ذاتها وسيلة أساسية من وسائل حماية اللغة الفرنسية، ليس من الدخيل، أو من مزاحمة لغة أجنبية عن العباد والبلاد، فهذا غير وارد في لغة موليير، بل من الأخطاء، والأخطاء الإملائية بالذات، التي تعتبر في العادة من أبسط الأخطاء، إذا ما قورنت بالأخطاء في النحو أو الصرف أو التعبير، لأن هذه الأخطاء لا تبدو، في الغالب، إلا في الكتابة.

هذا عن الفرنسية، وطبعا في بلادها، فماذا عن العربية في بلادها أو بلدانها، من يتابع أخطاء الإملاء فيها؟ من يتابع أخطاء النحو فيها؟ من يتابع أخطاء الصرف فيها؟ من يتابع أخطاء التعبير فيها؟؟ هذا في حالة الا ستعمال، حتى وإن كان هذا الاستعمال داخل مَحْبِسَيْها : "الكتاب" و"القسم الدراسي". أما في حالة عدم الاستعمال أو التّهجين، نقول من يحمي لغة القرآن من هجمات اللغات الأجنبية، من يحْميها من التهميش، والإذلال؟ من يحميها من التهجين المعجمي وا لتركيبي والصوتي؟

رحم الله زمانا كانت وسائل الإعلام على اختلاف أشكالها، تقدم مواد وبرامج تحسس بقيمة اللغة العربية وتنبه على الأخطاء التي يمكن أن يقع فيها المتكلم أو الكاتب، ورحم الله زمانا كان الذي يقف وراء الشاشة أو الميكروفون يبذل قصارى جهوده لأن يتكلم بلغة أقرب إلى الفصحى، أو على الأقل بلغة دارجة غير مهجنة... ر حم الله ذلك الزمان ووا أسفا على هذا الزمان، أصبحت فيه العربية غريبة بصوتها ومعجمها وتركيبها بل وحرْفها أيضا؛ حتى إنك تمر بأغلب شوارع مدننا وفي مقدمتها العاصمة العلمية للبلاد فترى فيها الحرْف العربي غريبا غريبا كل الغرابة. حتى ليُخيل إليك أنك في شوارع عاصمة موليير، فمتى يكون للعربية حماة في المستوى المطلوب؟ أم أن العربية لا بواكي لها؟!!

د. عبد الرحيم بلحاج

قوانين القرآن الكريم 25

لخبير الجمال الدعوي الدكتور محمد راتب النابلسي

قانون الالتفاف والانفضاض

بين يدي القانون

... القانون اليوم قانون الالتفاف والانفضاض، الإنسان.. خلق لجنة عرضها السموات والأرض، خلق ليسعد إلى أبد الآبدين، خلق لينعم بالقرب من رب العالمين، هذه الجنة لها ثمن، ومن طلب الجنة من دون عمل فهذا ذنب من الذنوب. ما ثمن الجنة؟ أن يأتي الله بك إلى الدنيا، وأن تتعرف إليه من خلال الكون، الذي ينطق بوجود الله ووحدانيته وكماله، بل إن الكون مظهر لأسماء الله الحسنى وصفاته الفضلى، فإذا تعرفت إلى الله، وتعرفت إلى منهج الله، واستقمت على أمره، الله عز وجل يمنحك من كمالاته، ودائما وأبدا أقول: مكارم الأخلاق مخزونة عند الله تعالى، فإذا أحب الله عبدا منحه خلقا حسنا، إذن الإنسان الذي آمن بالآخرة، وآمن بأنه مخلوق للجنة، ونقل اهتماماته إلى الدار الآخرة، لابد له من عمل يصلح للعرض على الله، لابد له من عمل صالح يكون وسيلة للقرب من الله، لذلك الله عز وجل في قرآنه الكريم، لم يعتمد الصفات التي يتفاضل بها بنو البشر، بنو البشر يرجح بعضهم بعضا بقيمة المال، بقيمة القوة، بقيمة الذكاء، بقيمة الوسامة، لكن الله سبحانه وتعالى جعل مرجحين اثنين لا ثالث لهما، المرجح الأول هو العلم فقال تعالى : ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾(الزمر : 10) وقال أيضا ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾(المجادلة : 11) والمرجح الثاني هو العمل الصالح قال تعالى : ﴿ولكل درجات مما عملوا﴾(الأنعام : 133).

الدعاة إلى الله أول المعنيين بالقانون

هذا القانون ، قانون الالتفاف والانفضاض.. يعني من؟ يعني المؤمن الذي عرف الله وعرف منهجه، وأراد أن يتقرب إليه. أعظم عمل على الإطلاق من دون استثناء هو الدعوة إلى الله، لقول الله عز وجل ﴿ومن احسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين﴾(فصلت : 32) أي ليس في بني البشر إنسان أفضل عند الله ﴿ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين﴾.. هذه الدعوة إلى الله هي فرض عين وفرض كفاية.. فرض كفاية إذا قام بها البعض سقطت عن الكل، فرض الكفاية أن يتبحر الإنسان في العلم الشرعي، وأن يتعمق فيه، وأن يتفرغ له، وأن يملك الحجج والبراهين ورد كل الشبهات، هذه الدعوة إلى الله بهذا المستوى فرض كفاية، إذا قام بها البعض سقطت عن الكل. ولكن الدعوة إلى الله التي هي فرض عين دعوة من نوع آخر، هو أن تدعو إلى الله في حدود ما تعلم، ومع من تعرف، ليس غير... هذه الدعوة تؤكدها الآية الكريمة ﴿والعصر إن الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾(سورة العصر) فالتواصي بالحق ربع النجاة، بل إن الله سبحانه وتعالى حينما يقول : ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾(يوسف : 108) فالذي لا يدعو إلى الله على بصيرة، وقالوا "على بصيرة" بالدليل والتعليل، ليس متبعا لرسول الله ﷺ، وإذا لم يكن متبعا فهو لا يحب الله لقوله تعالى : ﴿قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم﴾(آل عمران : 31).. وصلنا إلى القانون الذي يحتاجه الدعاة إلى الله، يحتاجه أي إنسان يحتل منصبا قياديا، يحتاجه الأب، تحتاجه الأم، يحتاجه المعلم، يحتاجه رئيس الدائرة، يحتاجه مدير المستشفى، يحتاجه رئيس الجامعة، يحتاجه أي إنسان يحتل منصبا قياديا.

معادلة الالتفاف والانفضاض

متى تنجح باختصاصك؟ حينما يلتف الناس حولك، حينما يحبونك، متى تنجح في تحقيق أهدافك؟ حينما يتطلع الناس إليك بعين المحبة والتقدير. إذن متى يلتف الناس ومتى ينفضون؟ هذا هو محور هذا اللقاء الطيب، بل محور القانون الذي نسميه قانون الالتفاف والانفضاض. ما الذي يحكم هذا القانون؟ يحكم هذا القانون هذه الآية الكريمة قال تعالى ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾(آل عمران : 159) أي بسبب رحمة استقرت في قلبك يا محمد كنت لينا لهم، أي أن **الإنسان إذا اتصل بالله اكتسب منه الرحمة، إن اتصلت بالرحيم تشتق منه الرحمة، إن اتصلت بالحكيم تشتق منه الحكمة، إن اتصلت بالقوي تصبح قويا، لا تلين ولا تتضعضع، ولا تتطامن، بل تكون قويا تأخذ حقك بشكل واضح صريح، إذن إن اتصلت بالحكيم تكون حكيما، بالرحيم تكون رحيما، بالقوي تكون قويا، بالعدل تكون منصفا**، فأي صلة بالله عز وجل، من ثمار هذه الصلة اشتقاق الكمال، فالآية التي هي قانون الالتفاف والانفضاض هي قوله تعالى : ﴿فبما رحمة﴾ وهذه الباء عند النحاة باء السببية، كقوله تعالى : ﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم﴾(النساء : 159) هذه الباء باء السبب، إذن ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾ يعني يا محمد بسبب رحمة استقرت في قلبك كنت لينا لهم، هذه الرحمة التي في القلب انعكست لينا في التعامل مع الآخرين، هذا اللين في التعامل مع الآخرين سبب التفافهم حولك، وإقبالهم عليك، ومحبتهم لك، وإخلاصهم إليك، لذلك أكبر رأس مال يملكه الإنسان هو أن يحبه الناس، وأن يثقوا به، وأن يتفانوا في تلبية دعوته التي يبغي منها وجه الله، **فلذلك الدعاة إلى الله، وأي إنسان يحتل منصبا قياديا، يريد أن يحقق أهدافه، أن ينصاع الناس له، وأن يلتفوا حوله، فعليه بهذه الآية ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾ اتصلت بنا فاشتقت منا الرحمة، انعكست الرحمة لينا، كان اللين سبب التفاف الناس حولك، عندئذ حققت الهدف من حياتك ورسالتك، فاستعنت بهؤلاء الناس، الذين أحبوك وقدروك ورفعوك.**

ماذا يقابل هذا القانون؟ قال ﴿ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾(آل عمران : 159) لو أن الإنسان انقطع عن الله عز وجل، ليس في قلبه رحمة، في قلبه قسوة ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾(الزمر : 21) لا يرحم الآخرين، يبني مجده على أنقاضهم، يبني غناه على فقرهم، يستغلهم، يستعلي عليهم، يؤذيهم ﴿ولو كنت فظا غليظ القلب﴾ يعني لو كان الإنسان منقطعا عن ربه، فكان في غلظة ما بعدها غلظة، هذه الغلظة انعكست نفورا من الناس فانفضوا من حولك، سبحان الله وكأن الآية معادلة رياضية:

اتصال، رحمة، لين = التفاف

انقطاع، قسوة، غلظة = انفضاض

﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر﴾.

... هناك فكرة دقيقة، لعلي أختم بها هذا اللقاء الطيب، الله عز وجل يخاطب سيد الخلق وحبيب الحق وسيد ولد آدم، والذي آتاه الله الوحي والقرآن والمعجزات، يقول له: أنت أنت أنت يا محمد، مع كل هذه الخصائص، ومع كل هذه الميزات، ومع كل هذه الكمالات ﴿لو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ فكيف بإنسان ليس معه وحي ولا معجزات ولا قرآن، وليس فصيحا، وليس جميل الصورة، ومع ذلك هو فظ غليظ، لذلك "من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف، ومن نهى عن منكر فليكن نهيه بغير منكر" هذا قانون الالتفاف والانفضاض الذي يحتاجه كل الدعاة إلى الله، بل كل أب وأم، بل كل معلم، بل كل من يحتل منصبا قياديا..

إلى لقاء آخر إن شاء الله تعالى..

مواقف وأحوال

محطات.. في حياة عالم قيل فيه: أويس هذه الأمة

ومن خبر أبي إسحاق الجبنياني، الفقيه المالكي جمع الله له العلم والعمل، زيادة على ما رأيناه في العدد السابق مما ذكره عياض ما يلي:

النصح للأهل:

وسمع رحمة الله عليه كلباً ينبح، فقال لأصحابه: هذا الكلب والله أنصح لأهله مني. لأنه يحرس لأهله ويمنع عنهم، وهم يجيعونه ويضربونه. فأنا قد منّ الله علي بالإسلام، وحضني على ما فيه نجاتي، فقصرت ولم أنصح نفسي.

اتهام النفس وتأديبها:

قال أبو عبد الله محمد بن مالك الطوسي: انتسخت من أبي إسحاق كتاباً فيه رقائق، وحكايات، فقلت لولده عبد الرحمن: عسى تلطف به حتى نسمعه منه، فجئناه فقلنا: أصلحك الله نحب أن تقابل هذا الكتاب بين يديك. فقال: افعلا. فلما أخذنا لنقابل، قلنا أصلحك الله تعالى، على من قرأته، أو عن من رويته؟ فأخذ الكتاب من يدي، وقال: انصرف. فقلت له: لو ترك العلماء الرواية لذهب العلم وانقطع الأثر، وأنت تعلم ما جاء فيمن كتم علماً. فقال لي وهو يبكي: أليس في الحديث : "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين؟" فقلت: نعم. فقال: شيخ جبنيانة ليس بعدل، حتى تقبل شهادته على النبي ﷺ. فانصرفت عنه.

وكان إذا رأى اجتماع الناس -أي عليه- يقول: كانت أمي رحمها الله، خادماً وثمنها كذا وكذا، ويذكر ثمنها نزراً.

زيارة أحمق:

ولما ورد أبو حامد الخراساني إفريقية وصل إلى الجبنيانة، فسلّم عليه. وقال له: جئتك من خراسان زائراً. فقال له الشيخ: إن صدقت فأنت أحمق، وإن قبلت أنا هذا منك، فأنا أحمق منك، كيف تترك العراق ومن بها من العلماء. ثم حرم الله، وحرم رسوله ﷺ والشام، ومصر، وتأتي الى المغرب، إلى شيخ بجبنيانة تقول هذا؟ فبكى أبو حامد، وقال له: لو لم تكن هكذا لم آتك.

وكان أبو حامد هذا يقول: رأيت بالمغرب أربعة ما رأيت مثلهم، علي بن محمد بن مسرور الدبّاغ. فلم أرَ أكثر حياء منه. وأبا إسحاق السبائي، فلم أرَ أعقل منه، وأبا الحسن الكانشي، فلم أرَ أظهر حزناً منه. وأبا إسحاق الجبنياني، فلم أرَ أزهد منه.

أخذ النفس بعزائم الأمور :

وكان مع سعة علمه، يأخذ بالجد والاجتهاد، وما يخرجه من الخلاف، ونسي يوماً الإقامة من بعض الصلوات. فلما سلم، قال لمن خلفه: إني نسيت الإقامة، ولا يلزمكم عندي إعادة. وأنا أعيد صلاتي. لأخرج من اختلاف العلماء. فاحتاط لنفسه رحمه الله. لأن عطاء ابن أبي رباح، والأوزاعي وغيرهما، يريان الإعادة، على من نسيها. رضي الله عنهم أجمعين، وغفر لهم وبالله التوفيق.

الجهر بالحق، والثقة المطلقة بالله:

قال عمر بن مثنى: كل من أدركت بهذا الساحل من عالم أو عابد، يستتر ويتروى بدينه، خوفاً من بني عبيد، إلا أبا إسحاق، فإنه واثق بالله، فلم يسلمه، ومسك الله به قلوب المؤمنين، وأعزّ به الدين، وهيّبه في أعين المارقين.

وحضر أبو إسحاق جنازة بنت بعض أصحابه، فصلى عليها وانصرف كل من في السوق للصلاة عليها خلفه. فرفع الأمر إلى سلطان الشيعة: معد، وقيل له: إنه مطاع. فأمر بالبرد فخرجوا فيه. فسمع وزراؤه بذلك فأتوه حفاة مشاة يقولون: إنا نخشى الهلاك. ما ظنّك برجل مجاب الدعوة، منقطع عن الدنيا. فرد البرد، وكان -لما صلى على هذه الجنازة- بقربه رجل، فقال: يا أبا إسحاق، الوقت لا يحتمل. فقال له **إنّا لم نبلغ درجة الصديقين، حتى نقتل على الحق.** فقال له: يا أبا إسحاق، عندي دعاء الخليل، حين ألقي في النار، ودعاء يونس حين التقمه الحوت. فقال له الشيخ: يا مسكين، إن كنت تدعو دعاء الأنبياء، وتفعل فعل الفراعنة، فمن تخادع؟

وصلى مرة على جنازة امرأة، فجيء بجنازة كتامي، كبير. ومعه خلق منهم. فقالوا: الصلاة على هذا الشهيد. فلم يرد عليهم. فلما فرغ من دفن المرأة، انصرف وتركهم وقوفاً بتابوتهم. فافترق أصحابه، ومن معه من حوله. خوفاً أن يضعوا فيهم أيديهم. فلما ذهبوا بجنازتهم، أدركنا الشيخ، وقلنا له: الوقت، كما علمت، وهؤلاء أصحاب السلطان، فأولى بك ألا تخرج للصلاة على الجنائز، فلما أكثرنا عليه، قال: كأنكم خفتم عليّ منهم. قلنا: نعم. قال: **اللهم إن كنت تعلم أني أخافهم دونك، فسلطهم عليّ**. فأمنّا حينئذ ومشينا معه.

× كل ما ذكرناه هنا انتقيناه من ترجمة أبي إسحاق في ترتيب المدارك للقاضي عياض رحمه الله، وقد ذكر له ترجمة حافلة، يحسن بالقارئ أن يطالعها لما فيها من الفوائد التربوية، والنفحات الإيمانية.

ذ. امحمد العمراوي
من علماء القرويين
amraui@yahoo.fr

المسؤولية في رعاية مصالح الأمة

د. لخضر بوعلي

عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالإمام الأعظم الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»(1).

ملاحظات عامة حول التركيب اللفظي للحديث الشريف :

1- يتوجه الخطاب إلى المسؤولين دون المسؤول عنهم ويتضمن وصية بالمسؤول عنهم لأن هؤلاء خوطبوا بنصوص أخرى من مثل قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم﴾(النساء : 58) وبقوله عليه الصلاة والسلام : «من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني»(2).

– في موضوع الطاعة أمروا بطاعة الإمام، وليّ أمرهم، وقد أشارت الآية الكريمة من سورة النساء إلى وجوب طاعة أولي الأمر في قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾(النساء : 58).

ولئن كان العلماء والمفسرون ذهبوا أكثر ما ذهبوا إلى القول بأن المقصود بأولي الأمر هم العلماء والأمراء إلا أن السياق القرآني يدفع نحو قصر المراد بأولي الأمر في الأمراء لقوله تعالى فيما قبلها : ﴿إن الله يامركم أن تودوا الامانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعمّا يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا﴾(النساء : 56-57). إن طاعة الله تعالى تجب بإطلاق وكذا طاعة رسوله ﷺ. أي أن طاعة الله تعالى تجب في كل ما أمر به في كتابه العزيز وتجب طاعة رسوله ﷺ في كل ما بيّن من معاني كتاب الله العزيز، ولكن طاعة أولي الأمر إنما وجبت تبعا لطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ. ومن بديع الجواب قول بعض التابعين لبعض أمراء بني أمية لما قال له أليس الله أمركم أن تطيعونا في قوله : ﴿وأولي الامر منكم﴾ فقال له : "أليس الله قد نزعها عنكم – يعني الطاعة – إذا خالفتم الحق بقوله : ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تومنون بالله واليوم الآخر﴾(النساء : 59).

وسواء امتثل هؤلاء أمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ فأطاعوا أولي الأمر منهم، فاستحقوا عن جدارة هذه الوصية أو لم يمتثلوها، فإن القيام بالمسؤولية حق لله تعالى ومظهر من مظاهر طاعته وليست استحقاقا(3).

2- هذا الحديث الشريف ذكر أعلى مراتب المسؤولية وهي مسؤولية الإمام الأعظم الذي قلده الله تعالى مسؤولية الرعية كلها : الغني والفقير، والصغير والكبير، والعالم والجاهل، والعاقل والسفيه، والأرملة واليتيم، والظالم والمظلوم... كيف ينصف الجميع وبخاصة عندما يكثر الظلم والعدوان وتتنوع طرائق الظالمين وحِيلهم، كيف يعدل بين الجميع في المغانم وفي المغارم، كيف يحنو على الجميع: المريض واليتيم والأرملة والثكلى والشيخ الفاني... كيف ينجز ما جاء في خطبة أبي بكر الصديق حين تولى الخلافة حيث قال : «أيها الناس إني وُلّيت عليكم ولست بخيركم، إن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوّموني..ألا إن الضعيف فيكم قويٌ عندي حتى آخذ الحق له..ألا وإن القويّ فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه..أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت فلا طاعة لي عليكم»(4).

ولعلّ هذا ما جعل الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يقضي الليل كله وهو يردد بالدموع قوله تعالى: ﴿وقفوهم إنهم مسؤولون...﴾(الصافات : 24).

ولا يخفى أن من عادة الوحي أن يرتب الأشياء ترتيبا لا يمكن أن يخلو من حكمة وأنه يبدأ بما ينبغي البدء به فلا يقدم عليه غيره ومن الحكمة أن تلتقط مثل هذه الإشارات.. وتقديم مسؤولية الإمامة العظمى على غيرها فيه إشارة على عظمتها وخطورتها وضرورة العناية بها.

3- ذكر الحديث الشريف نموذجا من المسؤولية الجماعية التكاملية وهي مسؤولية الأسرة حيث يتم تقاسم المسؤولية بين الزوج والزوجة والعبد.

والاكتفاء في هذه المناسبة بذكر الأسرة لا يعني أنها المجال الوحيد للمسؤولية المشتركة وإنما ذكره لأمور في غاية الأهمية يتعيّن التنبيه عليها منها:

– إن من أحسن طرق التعليم ضرب المثال بما هو معلوم، ولما كانت الأسرة هي المحضن الذي تربى فيه كل إنسان، تمّ اختياره لإيصال الفكرة بكل وضوح ما دام أن موضوع المسؤولية لا يجوز أن يبقى مكتنَفا بأي غموض.

– إن النجاح في مجال الأسرة يستحق أن يسمى نجاحا كما أن الخسارة فيه لا يمكن أن تعوّض، وإن الذين كانوا ضحية الإهمال الأسري يدركون أكثر من غيرهم حجم المسؤولية التي يتحملها الزوج والزوجة كما يدركون العواقب الخطيرة التي تترتب عن التقصير في هذه المسؤولية.

4- في ذكر نموذج الأسرة إشارة إلى أن القيام بالمسؤولية من طرف شريك لا يعني بالضرورة الوصول إلى الأهداف المرجوة من "الشركة"(5).

وفيه إشارة إلى احتمال التقصير من أحد الشركاء وأن هذا التقصير من أحدهم لا يبرر التقصير من بقيّتهم للقاعدة القرآنية : ﴿لا تزر وازرة وزر أخرى﴾(النجم : 37).

وفيه أن التقصير الفعلي من أحد الشركاء لا يكون حجة لشركائه للاقتداء به، بل لا بد من الثبات على القيام بما هو في الذمة لإبرائها لأن "الذمة عامرة بيقين فلا تبرأ إلا بيقين".

وإذا كانت الأسرة، وعدد أفرادها محدود جداً، لا تحقق غاياتها التربوية والاجتماعية إلا إذا تكامل جميع أفرادها وقام كل واحد بما يتعيّن عليه القيام به، فما بالك بالدولة التي يُعدّ أفرادها بالملايين... إن إصلاح المجتمع يتوقف ضرورة على التشارك وتضافر الجهود من قِبل الجميع...

إن المساهمة في الإصلاح ليس من شرطها أن يكون الإنسان في مواقع القرار بل يمكن أن تكون من أي موقع، من الإمام الأعظم الذي تولى أمور كل الرعية إلى العبد الذي لا يملك حتى نفسه بل هو ملك لغيره والكل مشمول بقوله ﷺ: «أنت على ثغر من ثغور الإسلام فلا يُؤْتَيَنّ الإسلام من قِبلك».

فَلا يستهينّ أحد بموقعه لأن الاستهانة بالموقع تؤدي إلى إضاعة المسؤولية المتصلة به، وتفويت لفرصة المساهمة في إصلاح الأمة.

إن موقعك شريف، وإنما يستمد شرفه من ذكر النبيّ ﷺ له ولا ينزع عنه شرفه نظرة الناس له ولا تضييعه ممن وكل به.

لا يعفى من المسؤولية حاكم ولا محكوم ولا موظف كبير ولا صغير، ولا تاجر ولا أجير، ولا أب ولا زوج ولا زوجة ولا عبد... فالكل في الإسلام مسؤول من موقعه، ومسؤوليته تأخذ حجم ما هو موكول إليه

ما أكثر ما يضيّع الناس المسؤوليات الملقاة على عواتقهم ويتطلعون إلى مسؤوليات أكبر ظناً منهم أنهم لا يساهمون في إصلاح الأمة إلا من خلالها(6).

إن قيام كل فرد من أفراد المجتمع بما ينبغي عليه القيام به يحقق فائدة جليلة وهي الاتفاق على تقدير المسؤولية واعتبارها أمانة لا يترفع عنها حاكم ولا محكوم و لا صغير و لا كبير وهو ما يشير إليه قول الحبيب ﷺ : «كما تكونوا يُولّى عليكم».

5- لم يذكر الحديث الشريف ما بين هاتين المرتبتين من المسؤوليات وهي، بدون شك، كثيرة ومتفاوتة الحجم والخطورة، فإذا ذكر الأطراف ذكر بالضرورة ما بينها.

6- إن الحديث الشريف اقتصر على ذكر حدود المسؤولية التي تؤثر على الغير سلبا أو إيجابا من مسؤولية الإمام الأعظم إلى مسؤولية الفرد في أسرته، ولم يشر إلى المنفرد الذي ليس حاكما ولا زوجا ولا أبا ولا زوجة ولا عبدا... وعدم ذكره في الحديث الشريف لا يعني إعفاءه من المسؤولية بل هو مسؤول عن نفسه وجوارحه ووقته وماله وكل ما أنعم الله تعالى به عليه. وإصلاحه لنفسه مساهمة في إصلاح المجتمع.

والخلاصة أنه لا يعفى من المسؤولية حاكم ولا محكوم ولا موظف كبير ولا صغير ولا تاجر ولا أجير ولا أب ولا زوج ولا زوجة ولا عبد...فالكل في الإسلام مسؤول من موقعه، ومسؤوليته تأخذ حجم ما هو موكول إليه.

7- الحديث الشريف ذكر المسؤولية (الواجب) ولم يذكر الحق وذلك قد يكون راجعا إلى الأسباب التالية:

– لأن الواجب مقدم على الحق لقوله ﷺ : «أدّوا الذي عليكم واسألوا الله الذي لكم».

– ليس من حق أحد أن يطالب بالحق قبل أن يقوم بما عليه من الواجب.

– لأن الحق ضمنه الحق سبحانه وأما المسؤولية فقد أنيطت بالعبد المكلف.

وما ضمنه الحق فلا يضيع، فلا داعي لذكره وأما ما أنيط بالعبد فمعرض للضياع لذلك احتاج إلى التذكير به والتحذير من إضاعته أو التقصير فيه.

قوله ﷺ : «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» مع التركيز على لفظ "كلكم" فيه فوائد منها:

– أن **الأمة كلٌ لا يتجزأ، وصلاحها يتوقف على صلاح كل أبنائها، فلا تصلح الأمة إلا إذا صلح الكل أو الجل. وإذا كثر فيها الخبث حلّ بها الهلاك وإن وُجد فيها بعض الصالحين(7).**

– وفيه تأصيل لمبدأ الاقتران الضروري بين المسؤولية والمحاسبة.

8- الحديث الشريف لم يذكر السائل وإنما ذكر المسؤولية والمسؤول، وموضوع المسؤولية وغيره من الموضوعات التي أشارت إليها نصوص الوحي الكريم إنما تستفاد من أصول الثقافة الإسلامية التي تقرر فيها أن المحاسبة في الإسلام دنيوية وأخروية:

والمحاسبة الدنيوية نوعان: شرعية وقدرية.

من المحاسبة الدنيوية الشرعية:

– أن من حق الرعية أن تسأل راعيها.

وعلى الراعي أن يقبل سؤال رعيته.

وإذا كان سؤال الرعية يتصل في الغالب، بل ويُختصر في الغالب، في المطالبة بالحق، فإن المساءلة في الإسلام أكبر من ذلك وأقوم.. لأنها تجعل المساءلة طاعة ونصيحة ومحبة وولاء(8)...، بحيث لو أن المسؤول أعطى بعض أفراد الرعية حقوقهم وضيّع حقوق غيرهم، لم يسكتوا عنه حتى يعطي كل ذي حق حقه.

ولو أنه أعطى كل ذي حق حقه ثم ضيّع حق الله تعالى فيما بينه وبينه لم يسكتوا عنه

حتى يؤدي حق الله تعالى في خاصة نفسه(9).

إن المسؤولية تتوقف على عناصر متعددة ومتشعبة أقتصر على ذكر بعضها:

– القيادة الراشدة :وخلاصتها أن يُوصل القائد من ولِي أمرهم إلى ما فيه خير، وأن يجنبهم العواقب التي لا تحمد، قال ﷺ: " إن شرَّ الرِّعاء الحُطمة"(10).

– النصح للرعية : والمقصود به كل ما تدل عليه الكلمة من الإخلاص والصفاء ولمّ الشمل... لقوله ﷺ: «ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه لم يجد رائحة الجنة»(11).

– عدم المشقة في الحكم وعدم الغش: وهذا أمر من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى مزيد من البيان قال ﷺ: «من ولي من أمر المسلمين شيئا فشق عليهم شق الله عليه»(12).

– وقوله ﷺ : «ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة»(13).

إن ولاية أمر المسلمين، جلّت أو دقّت،

تتمة ص : 13

24 محرم الحرام 1433هـ - 20 دجنبر 2011 م- العدد : 370

تربية النبي ﷺ ورئاسته للعائلة 2

ذ. محمد فتح الله كولن

القيمة التي أعطاها رسول الله ﷺ لزوجاته :

ليس هناك مثيل آخر للقيمة التي أعطاها رسول الله ﷺ للمرأة لا من قبل ولا من بعد. فلو زار في إحدى الليالي إحدى زوجاته للسؤال عنها فإنه كان يطوف على زوجاته الأخريات أيضا للسؤال عنهن. إذ لم يكن يظهر أي فرق من ناحية معاملته لهن. وكانت كل واحدة منهن ترى أنها أقرب إلى قلب الرسول ﷺ. وكان هذا ينبع من مروءته التي لا مثيل لها. غير أنه لما كان الإنسان عاجزا عن التحكم في قلبه، فإن تكليفه بما لا يطاق لم يكن واردا. لذلك كان الرسول ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول مستغفرا الله : "اللهم هذه قسمتي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك"(1).

ما أروع هذا اللطف وهذه الرقة وهذا الظرف، وأنا أسألكم هل راعيتم مثل هذه الدقة في المعاملة بين بنتين من بناتكم أو بين ولدين من أولادكم...؟ اسمحوا لي أن أقول "لا" نيابة عنكم.. أجل، "ألف مرة لا" ليس هذا فقط، بل إننا إن استطعنا ضبط عواطفنا وعدم إظهارها عددنا هذا من مفاخرنا وعلامة على قوة إرادتنا، بل ربما تحدثنا فخورين بذلك بينما يستغفر رسول الله ﷺ ربه لاحتمال خطور ميل أكثر بباله نحو إحداهن.

لقد نفذت رقته هذه وأدبه الجم إلى قلوب نسائه، فأحدث فراقه عنهن جرحا لا يندمل في أرواحهن ووجدانهن. ولو لا أن الإسلام يحرم الانتحار لربما أقدمن عليه. ولكن الدنيا أصبحت لديهن بعد فراقه دار حزن وهجران وغربة.

والحقيقة أن رسول الله ﷺ كان وقورا ورقيقا مع جميع النساء، وكان يوصي الجميع باتباع هذا السلوك، وكان يطبق عمليا مع نسائه ما يوصيه للناس. وكمثال على هذا يورد البخاري الحادثة التالية عن محمد بن سعد عن أبيه سعد بن أبي وقاص قال : استأذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قريش يسألنه ويستكثرنه، عالية أصواتهن على صوته، فلما استأذن عمر تبادرن الحجاب فأذن له النبي ﷺ فدخل والنبي ﷺ يضحك فقال : أضحك الله سنك يا رسول الله بأبي أنت وأمي؟ فقال : "عجبتُ من هؤلاء اللاتي كن عندي لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب." فقال: أنت أحق أن يهبن يا رسول الله. ثم أقبل عليهن فقال : يا عدوات أنفسهن أتهبنني ولم تهبن رسول الله ﷺ فقلن : إنك أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ(2).

والحقيقة أن عمر رضي الله عنه لم يكن يتصرف بخشونة أو بفظاظة، إذ كان هين الطبع مع النساء، إلا أنه كما أن أجمل الناس إن قيس بيوسف عليه السلام يبدو قبيحا فكذلك كان لين عمر رضي الله عنه عندما يقارن مع لين وحلم الرسول ﷺ يبدو خشونة وفظاظة... أي أن هذا الحكم كان نسبيا، إذ لا يمكن مقارنة أحد برسول الله ﷺ. أجل، لقد تعودن على ظرف الرسول ﷺ وعلى رقته وحلمه، ومن ثم كانت تبدو لهن تصرفات عمر رضي الله عنه خشنة، هذا علما بأن عمر رضي الله عنه كان من المؤهلين لحمل عبء خلافة رسول الله ﷺ في المستقبل، وعندما أصبح فعلا خليفة أعطى أفضل النماذج بعد نماذج الأنبياء عليهم السلام، إذ كان من خلقه وطبعه البحث عن الحق والعدالة، وأن يكون سيفا قاطعا يفرق بين الحق والباطل. كانت لعمر رضي الله عنه طبيعة خاصة أهلته لتسلم منصب الخلافة، وهذه الطبيعة قد تبدو للبعض قاسية بعض الشيء. ولكن هذا الخلق أو هذا الطبع هو الذي ساعده على حمل أعباء الخلافة بكل نجاح.

> **كان الرسول ﷺ يجلس ويتحدث مع نسائه، وأحيانا يتذاكر معهن بعض المسائل. ولم يكن في الحقيقة في حاجة إلى آرائهن لأنه كان مؤيدا بالوحي، ولكنه كان يريد أن يعلم أمته أمرا، وهو رفع مكانة المرأة، وذلك خلافا لما كانت عليه سابقا، وبدأ هذا عمليا في بيته**

- استشارته لنسائه :

كان الرسول ﷺ يجلس ويتحدث مع نسائه، وأحيانا يتذاكر معهن بعض المسائل. ولم يكن في الحقيقة في حاجة إلى آرائهن لأنه كان مؤيدا بالوحي، ولكنه كان يريد أن يعلم أمته أمرا، وهو رفع مكانة المرأة، وذلك خلافا لما كانت عليه سابقا، وبدأ هذا عمليا في بيته.

بدا صلح الحديبية قاسيا جدا للمسلمين إلى درجة أنه لم يبق هناك عند أحد منهم قدرة على النهوض من مكانه. في هذه الأثناء أمر رسول الله ﷺ من نوى العمرة القيام بذبح ذبيحته والخروج من الإحرام. غير أن الصحابة تباطؤوا في هذا على أمل أن يكون هناك تغيير لهذا القرار.. كرر النبي ﷺ الأمر ثانية، غير أن الصحابة بقوا على الأمل نفسه.. لم يكن هذا معارضة للرسول ﷺ. ولكنهم كانوا ينتظرون ويأملون في أمر آخر. إذ أنهم خرجوا من المدينة على أمل الطواف حول الكعبة. وما قيل في الحديبية كان من الممكن -حسب اعتقادهم -أن يتعرض لبعض التبديل والتغيير قبل وضع الاتفاقية موضع التنفيذ.

عندما شاهد النبي ﷺ هذا الأمر لدى الصحابة دخل خيمته واستشار زوجته أم سلمة التي كانت امرأة ذات فطنة واسعة. وأبدت أم سلمة رأيها لإعطاء المشورة حقها وهي تعلم أن الرسول ﷺ ليس بحاجة إلى ما تقول، وإنما كان الرسول ﷺ يريد أن يعلم أمته درسا اجتماعيا بمشورته هذه مع إحدى نسائه. قالت أم سلمة : "يا نبي الله! أتحب ذلك. أخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بُدْنَكَ وتدعو حالقك فيحلقك." كان هذا هو ما يفكر به الرسول ﷺ، لذا أخذ سكينه وخرج فنحر بُدْنَهَ وحلق شعره. فلما رأى الصحابة ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما(2). فقد علموا أخيرا أن القرار نهائي ولا رجعة فيه.

وأنا أريد أن أسألكم : أيكم يلتفت مثل هذه الالتفاتة الكريمة لزوجته؟ كم رئيس دولة استشار زوجته في الأمور الخطيرة لبلده؟ كم رب عائلة يضع في منهجه في إدارة البيت التشاور مع زوجته؟ ونستطيع أن نكثر من هذه الأسئلة ونوجهها إلى كل وحدة من وحدات المجتمع.. فليسمع هذا كل أصحاب الأصوات المنكرة التي تدعي بإن الإسلام يقوم بأسر المرأة، وأنا أتساءل : أي نصير من أنصار المرأة استطاع الارتفاع إلى هذا المستوى؟

ومثل أي أمر خير آخر فإن الشورى والمشورة طبقت في بادئ الأمر في بيت رسول الله ﷺ، إذ كان يستشير زوجاته، ولم نصل نحن بعد إلى مستوى هذا الأمر ولا نعرف كيف نفتح مغاليق هذا الباب السري، بل لم نصل بعد إلى الطرق على هذا الباب. أجل، فلا تزال المرأة -حتى لدى الذين يدعون الدفاع عن حقوقها -إنسانا من الدرجة الثانية، بينما نحن ننظر إليها باعتبارها نصف الوحدة الواحدة. فهي النصف الذي لا ينفع النصف الآخر بدونه، ومن اجتماع النصفين يتم تشكل الوحدة الإنسانية الواحدة. وعند غياب هذه الوحدة الواحدة لا يمكن الحديث عن وجود أي شيء.. لا الإنسانية ولا الأنبياء ولا الأصفياء ولا الإسلام ولا الأمة.

وكان الرسول ﷺ يتصرف بلطف مع النساء فإنه بأحاديثه كان يشجع مثل هذا التصرف. يقول في أحد أحاديثه : "أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم لنسائهم خياركم خلقا"(4). وهكذا يظهر أن قضية المرأة إن حققت ما تصبو إليه في تاريخ الإنسانية فقد حققته في العهد النبوي.

1- النسائي، أبو داود، الترمذي، "الطبقات الكبرى" لابن سعد .231/2.
2- البخاري ومسلم.
3- البخاري.
4- الترمذي، أبو داود، الدارمي.

إشراقة

عصا الوعظ

ذ. عبد الحميد صدوق

لم يلجأ الإسلام إلى العقوبة المادية إلا بعد فشل الزواجر الوعظية والتوجيهية في منع الفرد من تخطي الحدود الشرعية، وانتهاك المحرمات من الشهوات.

فلهذا اعتبر الإسلام عقوبة الوعظ من أهم أنواع التأديب الذي يحقق أغراض الشريعة من العقاب، وقد وضعت هذه العقوبة على أساس معرفة دقيقة بضعف الطبيعة الإنسانية أحيانا أم شهوة محرمة، أو نزوة عارمة، فجعلت عقوبة الوعظ من أهم ما يدفع المخطئ على الإقلاع المنبعث عن الرغبة في التوبة النصوح.

فالنفس البشرية كما يقول ابن القيم : فيها كبر إبليس، وحسد قابيل، وعتو عاد، ولغيان ثمود، وجرأة نمرود، واستطالة فرعون، وبغي قارون، وقحة أي لؤم – هامان، وهوى بلعام، وحيل أصحاب السبت، وجهل أبي جهل.

ونظرا لأهمية الوعظ في ردع النفوس، ورد المخطئ إلى رشده، وإيقافه عند حده، اعتبره الفقهاء ضمن العقوبات الشرعية، وأدخلوه ضمن "عقوبة التعزير" وهي عقوبة المقصود منها تأديب المخطئ وتربيته.

قال العلماء : وقد شرعه الإسلام لتأديب العصاة والخارجين على النظام، فالحكمة فيه هي الحكمة من شرعية الحدود بالقول مثل التوبيخ، والزجر، والوعظ.

والغاية من العقاب في الإسلام هي المنع من ارتكاب المحرم، ودفع المنكر وجعلت الشريعة أول مراتب المنع الدفع بالوعظ.

يقول الأستاذ عبد القادر عودة رحمه الله تعالى : وقد حصر الفقهاء الوسائل الصالحة لدفع المنكر في سبع وسائل هي : 1- التعريف. - النهي بالنصح والوعظ. 3- التعنيف. 4- التغيير باليد. 5- التهديد بالضرب والقتل. 6- إيقاع الضرب والقتل. 7- الاستغاثة بالغير(1). ولا شك أن عقوبة الوعظ والتوبيخ من اختصاص الواعظ، وعقوبة الضرب والقتل من اختصاص ولي الأمر.

فإذا تحقق المنع بعقوبة الوعظ فإنها تغني عن غيرها.

ويقول الأستاذ عبد القادر عودة رحمه الله تعالى : يعتبر الوعظ عقوبة تعزيرية في الشريعة الإسلامية يجوز للقاضي أن يكتفي في عقاب الجاني بوعظه إذا رأى أن في الوعظ ما يكفي لإصلاحه وردعه، وقد نص القرآن الكريم صراحة على عقوبة الوعظ في قوله تعالى : ﴿واللائي تخافون نشوزهن فعظوهن..﴾(النساء : 34)(2) ذلك أن الوعظ. ضرباته لها وقع شديد على النفس، وأثر كبير على القلب والضمير، يقول الإمام بن رجب : المواعظ سياط تضرب بها القلوب، فتؤثر في القلب كتأثير السياط في البدن. ثم قال : وكان كثير من السلف إذا خرجوا من مجلس سماع الذكر خرجوا عليهم السكينة والوقار، فمنهم من لا يستطيع أن يأكل طعاما عقب ذلك، ومنهم من كان يعمل بمقتضى ما سمعه مدة.

ثم قال : أفضل الصدقة تعليم جاهل، أو إيقاظ غافل. ما وصل المستثقل فينوم الغفلة بأفضل من ضربه بسياط الوعظ ليستيقظ(3).

فالواعظ يستعمل عطا الوعظ ليسوق بها الناس إلى رحمة الله ورضوانه، وينافح بها عنهم إبليس وعدوانه، ويهش بها على النفوس الغافلة ويحرك بها الضمائر النائمة ويعلي بها الهمم النازلة وينبه بها القلوب اللاهية. هذه العصا يظهرها الخطيب في صورتها الحسية بين يديه يوم الجمعة على المنبر، ليبين أن الغاية من كرب المخطئ بالعصا قد "يتحقق بوعظه وزجره، فيغني ذلك في عقابه وتقويمه، فيكون الوعظ عقوبة بدلية تحل محل الضرب.

عن الحكم بن حزن رضي الله عنه قال : وشهدنا الجمعة مع النبي ﷺ، فقام متوكئا على عصا أو قوس" وصححه ابن السكن، وله شاهد عند أبي داود من حديث البراء : "أنه ﷺ كان إذا خطب يعتمد على عنزة له؟ والعنزة مثل نصف الرمح أو أكثر فيها سنان مثل سنان الرمح.

1- نقلا عن كتاب الإسلام للمرحوم سعيد حوى، ص 587
2- المصدر السابق
3- لطائف المعارف، ص : 13

المتقون هم المتحضرون و بناة الحضارة الإيمانية

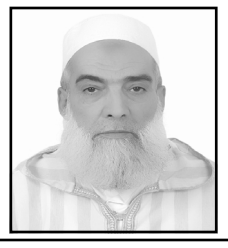

د. محمد البوزي

أ- من هم المتقون؟

المتقون عرفهم القرآن الكريم بأعمالهم وأخلاقهم الفاضلة في مواطن عدة من القرآن الكريم(1) نوجزها إجمالا في القول بأنهم "المؤمنون الصادقون في إيمانهم الذين اهتدوا بهدي القرآن واتصفوا بكل أعمال البر والإحسان، فقاموا بأداء الفرائض والطاعات والقربات، واتصفوا بالأخلاق الحسنة، فصدق عليهم الحكم بأنهم : هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات، الموعودون بالتمكين والاستخلاف في الأرض، وبرضوان الله تعالى في الجنة "

ومن خصائصهم كذلك أنهم " عباد الله المخلصون، الذين لا سلطان للشيطان عليهم فقد تحرروا من شباكه التي ينصبها للناس من التزيين والإغراء بحب المال أوالجاه أوالنساء وغيرها من متع الدنيا، وتجاوزت نظرتهم شهوات الدنيا ومتعها لأنهم ليسوا ذوي نفوس تقنع باستهلاك الأشياء، أو تجري وراء اللذات والمتع، بل هم يعملون الصالحات ويحرصون على ما هو خير وأدوم عند الله في جناته التي وعدوها، فيصدق عليهم قوله تعالى : ﴿قل أأنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمستغفرين بالاسحار﴾.

ب- الأخلاق الحضارية للمتقين :

لايشك مؤمن في أن كل أخلاق المتقين أخلاق حضارية، وهي الأخلاق القائمة على الإيمان الصادق الباعث على العمل الصالح، والتي تتجلى في ضبط النفس والسيطرة على أهوائها، وعلى نكران الذات وإيثار المصلحة العامة طمعا في رضوان الله تعالى، وحيث إن المجال لا يتسع لتفصيل القول في أخلاق المتقين فنكتفي هنا بما له حمولة حضارية بارزة من هذه الأخلاق، وأهمها ما يلي :

● **الصدق في القول والعمل :**

وأول ما يتحقق لدى المتقين هو صدق الإيمان بالله وتقواه، وقدوتهم للصحابة الكرام الذين مدحهم الله بها في قوله تعالى: ﴿فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المومنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليما﴾(الفتح 26).

وبتقواهم يحبون الرسول ﷺ ويطيعونه فما إن يسمعوا منه أمرا أو يعلموا عنه سنة حتى يسرعوا في الامتثال، فلا يتلكأون ولا يترددون، في طاعة أمر الله ورسوله، ولا شك أن الصدق في القول والعمل دليل قوة الشخصية والثقة في الله وفي النفس وذلك أساس كل الفضائل والقيم التي تجعل دأب المتقين هو العمل الصالح النافع للأمة دنيا وأخرى..

● **قوة العزيمة وحسن التوكل على الله :**

المتقون أقوى الناس عزما لتوكلهم على الله ولمراقبتهم إياه وخوفهم عقابه، فهم مؤمنون أقوياء يتحملون المسؤوليات ويؤدونها بإخلاص متجاوزين كل الصعاب والعقبات وهم يرنون إلى جنة رب العالمين، فيرتقون في مدارج الرقي الروحي والكمال الإنساني إنهم يعملون بقوله تعالى : ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك﴾(القصص : 77) ويصدق عليهم قول الرسول ﷺ : «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف..»(2).

● **التعاون والتماسك وعدم التفرقة ::**

المتقون تمنعهم تقواهم من التدابر والتنابذ والتخاذل والتفرقة، فهم أحرص الناس على ما ينفعهم وينفع غيرهم، لأنهم يتعاونون على البر والتقوى فيبنون بتعاونهم وتكافلهم مجتمعا متماسكا ومتضامنا يصبو للبناء والتعمير، والرقي الحضاري عملا بقول الرسول ﷺ : «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» فيكون عملهم الاجتماعي أقوى وأدوم من الأعمال التي تقام لأغراض مادية أو سياسية .

بالسير على

المنهج القرآني والهدي النبوي يهتدي الإنسان للتي هي أقوم في العبادة والعمل وفي البناء الحضاري والرقي الإنساني وغيرها

● **البصيرة بالحق والتمسك بالعدل :**

المتقون هم أعلم الناس بحقوق الله ويشرعه وعدله فهم يبصرون الحق ويحافظون عليه ، ولا يصرفهم صارف عن إقامة العدل و الحق بين الناس، والعدل أساس الاستقرار والتحضر. لأنهم يطبقون في أقوالهم وأعمالهم قول الله تعالى : ﴿ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾(المائدة : 9).

● **الإحسان إلى الناس والعفو عن زلاتهم :**

المتقون استجمعوا خصال البر والإحسان فصاروا خيار الناس، كرماء ؛ ينفقون في كل الظروف ولا يبخلون، بل يلاحقون أوجاع الناس وآلامهم حتى تزول، وهم صابرون يكظمون الغيظ ويعفون عن الناس، فاستحقوا وصف المحسنين وحسن جزاء رب العالمين كما في قوله تعالى : ﴿سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والارض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾(آل عمران : 133- 134).

● **السمت الحسن والنقاء في الظاهر والباطن :**

المتقون يجمعون بين الأناقة المظهرية في اللباس النقي والسمت الحسن، ﴿ولباس التقوى ذلك خير﴾، والأناقة المعنوية في طهارة القلب وصفاء الطوية، فكانوا بذلك أفضل الناس مصداقا لقول الرسول ﷺ لما سئل : أي الناس أفضل؟ فقال ﷺ : كل مخموم القلب صدوق اللسان، قالوا : صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال ﷺ : «هو التقي النقي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد»(3).

نعم، التقي النقي، هو أفضل الناس وأسماهم خلقا، وأرفعهم تحضرا، لأن قلبه سليم من الحقد والحسد ومن التكبر واحتقار الناس وغيرها من الأمراض التي تؤدي إلى الحروب والصراعات، والاعتداء على حقوق الآخرين،

وهل هناك تحضر أسمى وأرقى من تحضر الأتقياء؟ وأي تحضر هذا الذي يزعمه صناع المدنية الحديثة المستكبرون في الأرض، المحتكرون لخيراتها، أو العنصريون الحاقدون على مخالفيهم في العرق أو الملة ؟

● **حب العمل وعدم التواكل :**

وذلك عملا بدعوة القرآن والسنة واقتداء بالصحابة الكرام، لأن من شأن التقوى أن تدفع صاحبها لأخذ الحيطة والحذر من كل ما يضره أو يهدد سلامته الجسدية والعقلية والروحية، ومن شانها أيضا التواضع ومخالطة الناس في شؤون الحياة، والصبر على أذاهم.

● **التفكير الصائب والقول السديد :**

المتقون هم أولوا الألباب الذين يتفكرون في آيات الله الكونية ويعقلون آياته القرآنية، فلا يتبعون الأهواء ولا يقولون على الله بغير علم، لعلمهم بأن الله حرم ذلك، بل يلتمسون الحجة والبرهان، ويحرصون على الصدق و القول السديد عملا بقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم...﴾.

● **القدرة على حل المشكلات وتجاوز الواقع المهين :**

وذلك لأنهم يتوكلون على الله حق توكله، معتمدين على توفيقه، فيُبصرون الأمور على حقيقتها بدون تضخيم ولا تحقير والله يمدهم بنور يبصرون به، وفرقان يميزون به الحق عن الباطل،كما ييسر أمورهم مصداقا لقوله تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا..﴾(الطلاق : 2) ولقوله تعالى : ﴿ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا﴾(الطلاق : 4).

ج- الصحابة هم النماذج القدوة لبناة الحضارة الإيمانية :

الصحابة جيل من المؤمنين المتقين الذين تربوا في مدرسة النبوة فنهلوا من معين الوحي وأخذوا العلم والعمل عن الرسول ﷺ فكانوا سادة الأتقياء المتحضرين، وفيما يلي بعض أخلاقهم ومواقفهم الحضارية :

● **حبهم للعلم وإيثاره على متاع الدنيا :**

وخاصة فقراءهم أمثال أبي هريرة، وابن مسعود، وغيرهما ممن لم يشغلهم الصفق في الأسواق عن طلب العلم, ولم يكتفوا كلهم بعلم القرآن والسنة بل منهم من تعلموا لغات الأمم المجاورة كالعبرية وغيرها ليبلغوا رسالة الإسلام لغير العرب،كما تعلموا صناعة الدروع والسيوف وغيرها مما تدعوهم الحاجة إليه..

● **الإيثار والتضحية في سبيل الله :**

إنهم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، لا يهمهم الطمع ولا تشغلهم الأموال والأولاد عن تلبية نداء الجهاد ونصرة الإسلام -مهاجرين وأنصار- فلم يصبهم ما أصاب عموم المسلمين في العصر الراهن من الوهن

الناتج عن حب الدنيا وكراهية الموت،بل هم نصروا الله بالجهاد فنصرهم، واعتزوا بدينهم فأعزهم الله.

● **العمل لصلاح الدين والدنيا :**

إنهم تربوا في مدرسة النبوة على الجهاد وعلى العمل للدنيا والآخرة، فهم فرسان بالليل رهبان بالنهار، في حياتهم الخاصة يتصفون بالزهد في الرفاهة والمتاع المؤدي إلى الترف والكسل، وفي حياتهم العامة يحرصون على فعل الخيرات والأعمال الصالحة فأخذوا بما كان في عصرهم من التقنيات والصناعات فاهتموا بالضروريات وبالأولويات في عهدهم كصناعة السيوف والأذرع الضرورية للجهاد، ولم يهتموا بالمقتنيات الترفيهية، وبالمشتهيات النفسية.

● **العدل في القضاء وفي الشهادة على غير المسلمين :**

وقد وردت في سيرهم وأخبارهم قصص ومواقف عدة تشهد بنزاهتهم وعدالتهم، وخاصة مع يهود المدينة سواء في حياة الرسول أو بعد مماته ﷺ، وأشهرها حكم القاضي العادل (شريح) في قضية الدرع التي ضاعت من علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وغيرها من الوقائع.

● **الاستفادة من حضارة الأمم الأخرى:**

اشتهر بذلك أيضا الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، في تدوين الدواوين، وترتيب الجيش ، واتخاذ حدث للتأريخ وهو (حدث الهجرةالنبوية)، وإنشاء بيت المال، وتمصير الأمصار وغيرها..

فبالسير على المنهج القرآني والهدي النبوي يهتدي الإنسان للتي هي أقوم في العبادة والعمل وفي البناء الحضاري والرقي الإنساني وغيرها،

● **التسامح والمعاملة الحسنة لأهل الكتاب:**

وخاصة المعاهدين والذميين منهم، وموقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه من وضع الجزية على فقراء الذميين وعجائزهم، وإعطائهم من بيت مال المسلمين ما زالت مفخرة للمسلمين ومواقفهم الحضارية بينما حاملو شعارات (حقوق الإنسان) في العصر الراهن لم يتخلصوا بعد من النزعات العنصرية والطبقية..!!

1- من هذه المواطن ؛ سورة البقرة،آيات : 2...6 و 177 و180 و 194،آل عمران : 76 و133...136 و....الخ

2- أخرجه مسلم عن أبي هريرة كتاب القضاء والقدر رقمه في مختصر مسلم للشيخ الأ لبلني 1840..

3- أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب الزهد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه ما صححه الألباني رقم 4216.

مخموم القلب : لفظ (مخموم) من خم المكان أو البيت إذا نكسه من الأوساخ،ومعناه في الحديث بشرحه ما بعده.

قلبه سليم وخال من الضغائن والأحقاد ومن التكبر والطماع وكل ما يؤدي إلى الصراع أو احتقار الناس أو الاعتداء عليهم، وهل هناك معنى للتحضر أسمى من هذا ؟ وأي تحضر هذا الذي يتصف به متمدنوا الحضارة المادية المعاصرة المتصفين بالغرور والتكبر والعنصرية الحاقدة.

منزلة الجهاد في سبيل الله (*) 1

بين الاستشهاد والانتحار

فريد الأنصاري رحمه الله تعالى

عندما يجود العبد بنفسه في سبيل الله

نلتقي اليوم بحول الله عز وجل في حلقة أخرى من منزلة المحبّة التي هي من أرقى منازل السالكين العابدين، وذلك أن الله عز وجل قد وَصَفَ المؤمنين إذ يَبْلُغون رتبة يُعطي فيها الإنسانُ نفسه لله، وذلك بصفته مجاهداً في سبيل الله، وَصَفَه الله عز وجل بكونه مُحِبّا، ولا يبلغ المؤمن رتبة الجهاد في سبيل الله إلا إذا كان محباً، ذلكم أنه يستحيل أن يُقدِم إنسان ما على هلاك نفسه في الدنيا وهو يعلم ذلك إن لم يكن ضامنا وموقنا يقينا تاما أنه يلقى خيرا مما هو عليه الآن في الدنيا، فرق كبير بين المجاهد إذ يُقبِل على الموت وبين المُنتحِر -والعياذ بالله- إذ يُقبل على الموت، وهذا الفرق قبل أن أفصِّله بالبيان أذكر قول الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ منكُم عَن دِينِه فَسَوْفَ يَاتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُم وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُومِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُوْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(المائدة: 54)، ذكرنا أسباب المحبَّة الجالبة لها، ونذكر اليوم سببَها الخاتم الجامع المانع وهو سَببُ الجهاد في سبيل الله، ﴿فَسَوْفَ يَاتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ وهذه اللفظة نكرة، ولعل الصوفية الأوائل الذين لم يتأثروا ببدع ما حدث بعدُ في التاريخ سَمَّوا السالكين إلى الله بالقوم، والذي يقرأ كُتب الزهد والتصوف في الصدر الأول من الأمة يجد أن عبارة القوم تُطلق على هؤلاء الناس هي: (القوم)، قلت لعل هذه اللفظة أُخذت من هذه الآية ﴿فَسَوْفَ يَاتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُم وَيُحِبُّونَهُ﴾ فإذ ذكر القوم، يُقصَد أساساً الذين يُحبُّهم الله ويُحِبُّون الله، ولا يمكن أبدا أن يَحصُل الإنسان على هذه الرُّتبة بالدعوى، بل لا يحصل عليها إلا بالعمل، وهذا فرق ما بين البدع والصلاح، ذلك أن أهل البدع كلهم دعوى، أما العمل فلا، وأما أهل الصلاح فعَمَلٌ، وعملٌ مبني على المحبّة سبقاً إذ يبلغ الإنسان أن يَبذُل نفسَه في سبيل الله،

الاستشهاد غير الانتحار

تصور بذهنك كيف يقبل فتى في ريعان الشباب، كما يحدث الآن في فلسطين وفي غير فلسطين من البلاد التي قد لا نَعلَمُها وقد نَعلَمُها، وكما حدث لدى الصحابة أنفسهم، ترجم البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه، باب هل يذهب الطليعة وحده؟ (الطليعة): جمعه طلائع وهي لفظة في الاصطلاح الفقهي الحديث تدُلُّ على من يكون في مقدمة الجيش ولو كان فردا، يعني مُعَرَّضٌ بنسبة كبيرة جدا للموت، للشهادة، وأورد البخاري وغيره من الأحاديث الكثيرة ممّا وقع للصحابة أنفسهم أنهم اقتحموا على العدو فُرادى، صحابي وحده يقذف بنفسه وسط العدو فيفتح باب المدينة المحاصرة للمسلمين ويُقتل، ويقتحم المسلمون بعد ذلك المدينة فيفتحونها، فمثل هذا موقِنٌ بالموت مائة في المائة إلا أن يشاء الله أنه سوف يموت، ولذلك فرق بين ما يسميه الإعلام الفاسد المُغرِض بالعمليات الانتحارية، لأن الانتحار يقود صاحبه إلى نار جهنم -والعياذ بالله- بالحديث الثابت عن رسول الله ﷺ : «من تردى من جبل فهو يتردى فيه في نار جهنم خالداً مخلدا فيها أبدا» والعياذ بالله، وكذلك «من قتل نفسه بحديدة فهو يقتل نفسه بها خالدا مخلدا فيها في نار جهنم» والعياذ بالله أو كما قال عليه الصلاة والسلام، الذي ينتحر بأي طريقة من الطرق يبقى كذلك يعذب بالطريقة نفسها التي انتحر بها في الدنيا في نار جهنم، يُحييه الله ثم يتردى ثم يحييه ثم يتردى، يعذب كذلك على الخلود الدائم في النار نسأل الله السلامة والعافية. إذن فرق كبير بين من يُقبل على الموت مجاهدا ومن يُقبل على الموت منتحراً أما المجاهد فلا يكون إلا مُحبّاً، ﴿فَسَوْفَ يَاتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُومِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ﴾(المائدة: 54) وهذا فضل كبير، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُوْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾(المائدة: 54)، وهذا أمر إنما يصل إليه من وفَّقه الله إلى حبّه، ومن أحبَّه الله ﴿فَسَوْفَ يَاتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ ، أحبهم الله أولاً، جاءت عبارة محبة الله للعبد قبل محبة العبد لله، يحبهم ويحبونه،

المنتحر مريض

المنتحر لا يكون إلا مريضا بأحد معنيين، إما مريض فعلاً وقع له اهتزاز في النفس ديالو والعياذ بالله، يعني بالمعنى نفسه، المعنى الكلينيكي، مريض، كان بالإمكان أن يعالج عند الطبيب إن شاء الله، أو مريض بالمعنى الروحي، ومن أسوأ الأمراض الروحية اليأس والقنوط والعياذ بالله واليأس والقنوط أصلا لا يكون إلا في الكفار ﴿وَلاَ تَيْئَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْئَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾(يوسف: 87)، فقدان الأمل في رحمة الله هذه صفة الكفار، يأس كما يئس الكفار من أصحاب القبور، أما المؤمن الذي يوقن بالحياة بعد الموت، ويوقن بالحساب والعقاب، ويوقن بفضل الله وبالجنة، لا يمكن أبدا أن يُصاب بمثل هذا مهما وقع له من مصائب الدنيا، ما الذي يمكن أن يقع له في الدنيا؟ يُفقر من ماله ويُصاب بأدواء في بدنه، ويُصاب بما قد يُصاب من البلايا والرزايا نسأل الله العافية، فإنه مع ذلك يرى أن فضل الله عليه كبير، ولو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى منها الكافر جرعة ماء، فما ينبغي أن يقع مثل هذا لمؤمن حق، وإنما يقع مثل هذا الداء لمن فقد إيمانه حقيقة، لا ينتحر المنتحر إلا وقد كفر، لأن اليأس وصل به والعياذ بالله إلى أن فقد الثقة في الله سبحانه، أو يخلف الله وعده؟ أبدا، حاشا لله، فإذن الذي ينتحر عادة يكون قد يأس من الدنيا ومن الآخرة، ضاق بالهمّ والمشاكل والمصائب، والذي له أمل في الآخرة لا ينتحر، لأن المؤمن لا يضيق بها لأنه يرى فضل الله عليه في ذلك البلاء، والمؤمن "أمره كله له خير إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له"، وكم من عبد رفعه الله إلى مقام الصديقين بالصبر، وخير مثال لذلك صبر أيوب عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، إذن حال المنتحر حال مَرَضِيَّةٌ.

الشوق يدفع العبدَ إلى طلب المشوق إليه، والقلب المشوق أي الذي أخذه الشوق لا يصبر إلا على أن يلتقي من يحب، فإذن هذه الحال صحية وليست مرضية، الذي استشهد في سبيل الله ليس مريضا، بالعكس في تمام الصحة والعافية، نحن المرضى، أما مثله ففي كمال صحته وعافيته وجمال روحه، فلولا المحبة ما استشهد في سبيل الله

أقصر طريق إلى ملاقاة المحبوب أن يستشهد العبد المحب في سبيل ذلك المحبوب

أما المجاهد فلننظر إلى ما يحدث الآن وما حدث في السابق من تاريخ الإسلام كله فهو مليء بمنارات الهدى من أمثال هؤلاء الشهداء الذين يرسمون للناس وللمؤمنين بعد حججا من حجج الله على خلقه يُقبِل على الاستشهاد -ولا نقول الانتحار- وهو في كثير من الأحيان شاب ويملأ قلبه أمل في الحياة ولا يكون يائسا، كم منهم من كان حديث عهد بالزواج أو خاطبا، مقبلاً على الحياة وليس هاربا منها أبدا، ليس بسكران ولا بمخدر، إطلاقا، إنه في تمام وعيه، بل في وعيه الحقيقي، وهو هو الذي وصل إلى الوعي الحقيقي وأدرك ما الحياة وما الموت، لأن المؤمن لا يدرك هذه الحقائق إلا في أحد أمرين إما أن يبلغ به الإيمان رتبة كرتب الصحابة أو يقاربهم أو يموت، ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾(ق: 22)، مثل هذا يكون قد رأى الحقائق كما هي، وامتلكت قلبَه محبَّةُ الله، فهو لذلك لا يصبر، إلا أن يُقارب المحبوبَ ويقتربَ منه، وأقصر طريق إلى ملاقاة المحبوب أن يستشهد العبد المحب في سبيل ذلك المحبوب، وقد قال أحد الصحابة وقد أوتي بتمرات يأكلهن وهو ينظر إلى القتال وقد استَعر بين المؤمنين والكافرين: "بخٍّ بَخ ما بيني وبين الجنة إلا هاته الثمرات" فألقاها ولم يتم أكلها ثم دخل إلى المعركة فقاتل حتى استُشهد رضي الله عنهم أجمعين، إنها محبة الله إذا امتلكت القلب فإن العبد يهفو إلى ملاقاة الحبيب، وملاقاة الأحبة بعد ذلك محمدا وصحبه عليه الصلاة والسلام، محمدا وصحبه كما قال بلال رضي الله عنه لما مرِض مرَض الموت ذكر الله عز وجل ثم ذكر محمدا عليه الصلاة والسلام، وكان ينطق برَجَز منه "اشتَقتُ الأحبة محمدا وصحبه" يذكر مثل هذا الكلام، محمدا وصحبه عليه الصلاة والسلام، فالشوق يدفع العبدَ إلى طلب المشوق إليه، والقلب المشوق أي الذي أخذه الشوق لا يصبر إلا على أن يلتقي من يحب، فإذن هذه الحال صحية وليست مرضية، الذي استشهد في سبيل الله ليس مريضا، بالعكس في تمام الصحة والعافية، نحن المرضى، أما مثله ففي كمال صحته وعافيته وجمال روحه، فلولا المحبة ما استشهد شهيد في سبيل الله، لأنه يعلم أنه يألم، والقتال ألم،﴿إِن تَكُونُوا تَالَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَالَمُونَ كَمَا تَالَمُونَ﴾(النساء: 104)، الكافر يَألَم بالقتال لأنه يموت ويُجرَح، كثيرا ما نقول: (الحرب النفسية) التي تخلف عند الإنسان حالة من التوتر، ولذلك قال الله عز وجل في القرآن ﴿حتى تضع الحرب أوزارها﴾، سماها أوزارا، فكذلك المؤمن يألَم في الحرب،﴿إِن تَكُونُوا تَالَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَالَمُونَ كَمَا تَالَمُونَ﴾ ولكن أنتم، ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ﴾(النساء: 104)، أنتم تسوقكم المحبّة، الرجاء في الله، تطلبون الفضل الذي بيد الله، والخير الذي عند الله، أما أولائك فبأساء، المقاتل من الكُفّار أو من غيرهم ممن لا دين له، هو في الجبهة وتخالجه أفكار دنيوية ساقطة، حدثني أحد الصالحين من الفلسطينيين عن حرب لبنان التي كانت في سنة اثنين وثمانين، خلال هجوم اليهود على لبنان وإخراج الفلسطينيين منها، حيث كانت بعض الفصائل الفلسطينية تقاتل في الخنادق، وكلنا يعلم أن الجنود يتزودون بقنينة الماء ليستعينوا بها على إطفاء العطش، ولكن الغريب أن بعضهم كان يملؤها بالخمر (الويسكي) أعزكم الله بدل الماء، فهل يمكن أن نعتبر هذا مقاتلا في سبيل الله؟ حاشا هذا بئيس، لماذا؟ لأنه يخدّر عقله حتى لا يعرف ماذا يفعل، لا يملك نفسية القتال، ومثل هذا مهزوم ابتداءً، وهذا الذي حصَل، لا يُقاتِل حقّ القتال إلا محبّ يَعي ما يصنع ويُقبل بصدر رحب فَرِح، مسرور، مَشوق، يحمله الشوق إلى ملاقاة الله، ﴿فَسَوْفَ يَاتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ﴾(المائدة: 54)، وما أدراك ما قوم، ﴿بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُومِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ﴾(المائدة: 54)، إنها مرتبة عالية، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ﴾، وليس لكل الناس، ﴿يوتيه مَن يَشَاءُ﴾، للمحبوبين فقط، ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ سبحانه وتعالى.

-يتبع-

(*) منزلة الجهاد في سبيل الله من حلقات منازل الإيمان التي ألقيت بمسجد الجامع الأعظم بمكناس وهي مادة مسجلة على شريط سمعي .

أعدها للنشر : عبد الحميد الرازي

حوار مع الدكتور هيثم الخياط كبير مستشاري المدير الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية

في موضوع تدريس العلوم المادية باللغة العربية الواقع والافاق

حاوره: عبد الحميد الرازي

محمد هيثم بن أحمد حمدي الخياط :
- كبير مستشاري المدير الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية لشرق المتوسط
- عضو مجلس أمناء الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين
- عضو مجلس أمناء المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية
- رئيس تحرير المجلة الصحية لشرق المتوسط
- مقرر مشروع المعجم الطبي الموحد
- عضو في أغلبية مجامع اللغة العربية؛ وفي أكثر من 20 جمعية علمية في مختلف أنحاء العالم منها أكاديمية نيويورك للعلوم والمجمع العلمي الهندي.
- ولد الدكتور محمد هيثم الخياط في دمشق بسوريا عام 1937،

درس العلوم الشرعية على مشايخ دمشق، وتبحر في علوم اللغة العربية، ودرس العلوم الطبية في كلية الطب في جامعة دمشق وحصل منها على درجة الدكتوراه في الطب، وله شواهد علمية عديدة.
- أصدر حتى الآن 20 كتابًا باللغات العربية والفرنسية والإنكليزية، ومنها بعض المعاجم،
- نشرت له عشرات المقالات بلغات عديدة وفي مختلف المجالات.
- كتب كتبًا في الطب والصحة والكيمياء وعلم النبات واللغة العربية والأخلاق الإسلامية.
- شارك في تأليف المناهج والمقررات الطبية لجامعتي دمشق وحلب.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم وبارك على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه.

نحن في ضيافة عالم جليل وشخصية بارزة في محراب العلم، ومجاهد مستميت في الدفاع عن هوية الأمة المسلمة ودينها ولغتها العربية، لغة القرآن ولسان أهل الجنة، نحن في ضيافة هذا العلم البارز لنتحدث معه في قضايا تهم تدريس العلوم المادية باللغة العربية وخاصة الطبية منها،

فضيلة الدكتور هيثم الخياط شكر الله لكم هذه الاستضافة الكريمة، ونسأل الله سبحانه و تعالى أن يجعلها في ميزان حسناتكم.

● أستاذنا الكريم وأنتم تعملون في مجال تصحيح أوضاع ما فسد من أمور التعليم بالدول العربية، ومن بين الأمور التي فسدت تدريس العلوم المادية باللغات الأجنبية الفرنسية أو الإنجليزية في البلاد العربية. كيف تنظرون لهذا الواقع؟

●● ياسيدي أولا اللغة القومية هي لغة التبيين، إذا أراد الإنسان أن يبين محتويات ومفاهيم موضوع من الموضوعات، فينبغي أن يلقنها باللغة القومية. هذا ما قاله ربنا عز وجل: ﴿وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم﴾(ابراهيم : 5) فالتبيين لا يكون إلا بلغة القوم، ولذلك فنحن حينما نستعمل لغة غير اللغة القومية فنحن نحط من شأن هذا البيان ونقلل من هذا التبيين قليلا أو كثيرا، بحسب إجادة الطالب أو المستمع أو المتلقي لهذه اللغة. لكن يبقى أن اللغة القومية لا تقارن بها أي لغة في حال التبيين. فنحن إذا أردنا من هذه العلوم المادية التي تتحدثون عنها،إذا أردنا أن يجيدها ويتقنها المتلقي لها، فإنه علينا أن نلقنه إياها باللغة القومية. هذه خلاصة نظري، مع الأسف هذا الشيء غير حاصل في البلدان العربية، قد يكون من أسبابه العادة التي جرت منذ القديم واستسهال الأمور القائمة، وقد يكون من أسبابه الخشية من أن تستعيد هذه اللغة مكانتها التي كانت لها في القرون الوسطى المزدهرة، كانت قرون مزدهرة وليست مظلمة كما كانت بالغرب. فيخشى كثير من الناس أن تعود لها المكانة التي كانت لها. وبطبيعة الحال هناك كثيرون يريدوننا ألا نتلقى هذه المعلومات كما ينبغي أن تتلقى. أنا لست دائما مع نظرية المؤامرة و لكن هناك أشياء لا يمكن أن تفسر إلا بهذا التفسير.

● هم يقولون بأن لغة المنتج لهذه العلوم هي الأصلح لتدريس هذه العلوم بماذا تردون؟

●● وقد كانت اللغة العربية هي المنتج خلال عشرة قرون، فما الذي حصل؟ طبيعة المنتج طبعا. هذا أمر مهم، و ينبغي أن نتحول إلى منتجين، أولا نهضم المعلومات الحاضرة ثم بعد ذلك نستطيع أن ننطلق منها إلى منتج جديد.

في مجال الطب نعرف في التاريخ أن رواد هذا الميدان هم مسلمون وعرب، وكان يدرس باللغة العربية، وفيه مؤلفات باللغة العربية.

● الإنسان إذا مرض في هذا الزمان و اشترى دواء أو تحدث مع طبيب فإنه لا يفهم مرضه، لأن الطبيب يخاطبه بلغة لا يعرفها، وإذا قرأ الورقة التي تصاحب الدواء، يقرؤها بلغة غير لغته ولا يعرف الدواء الذي يتناوله، وقد يكون ممن لا يتقنون اللغات الأخرى كيف ترون هذه الأمر؟

●● صدقت هذا من أهم دواعي التعليم باللغة العربية، لأن الطبيب الذي يتخرج من كلية الطب. أولا سوف يخاطب مريضه من أجل أن يعرف مرضه ومن أجل أن يشخصه، ثم من أجل أن يعالجه، من أجل هذه الأمور كلها سوف يتحدث بلغة هذا المريض شئنا أم أبينا والمريض لن يفهم عليه إذا تحدث بلغة أخرى كما تفضلت. الأمر الآخر إذا ذهب إلى القضاء مثلا ليكتب تقريرا طبيا شرعيا، القضاء لا يقبل منه تقريرا بلغة أجنبية، إذا أراد أن يستفسر من مريض مصاب بمرض نفسي، هل يستطيع أن يصل إلى أعماق نفس هذا الإنسان بلغة أجنبية؟ محال. هذه الأمور وحدها تكفي لتملي علينا ضرورة التعليم باللغة العربية بأي شكل من الأشكال ومهما كان الثمن. من أجل ذلك أدعو و كثيرون منا يدعون في عالمنا العربي بفضل الله إلى ضرورة تعليم العلوم جميعها والطب بصفة خاصة باللغة العربية، وهذا أمر ممكن، والذين يقولون أن الأساتذة سوف يصعب عليهم ذلك ينطلقون من رهاب كبير، فهل يعقل أن إنسانا لا يستطيع أن يتحدث عن موضوع بلغته الأم مهما كان هذا الموضوع، و في أي موضع وفي أي موقع؟ محال إن كان لا يستطيع أن يتحدث بلغته الأم عنه، فمن باب أولى أن لا يستطيع أن يتحدث باللغة الخالة، عطفا على قضية الأم، هذا وهم وكما قلت نوع من الرهبة المرضية، الناس يظنون ذلك، فلنطلب من أستاذ من كلية الطب أن يتحدث إلى مجموعة من الناس خطبة جمعة مثلا، يتحدث فيها عن مضار المرض الفلاني، أو الخمر، أو ماشابه ذلك أو يدعو فيها إلى تطعيم الأطفال...بأي لغة سيخطب الجمعة؟ اللغة العربية...هل يستطيع أم لا؟ يستطيع، والناس سيفهمون أم لا يفهمون؟ سيفهمون، فالقضية قضية وهم فقط، وهذا الوهم يحتاج إلى العزم و التوكل على الله.

● هناك أحجوجة يحتجون بها دائما وهي قضية المصطلحات فهل عجزت العربية عن ولادة المصطلحات؟ أوليست بحرا في أحشائها الدر كامن؟ وهل سالتم الغواص عن صدفاتها؟

●● المصطلحات لم تقف حجر عثرة إطلاقا في سبيل الحديث باللغة الأم، والمصطلحات أصلا لا تؤلف على أحسن الظروف 15 في المائة من الكلام، أما الباقي فهو الكلام العادي المألوف، فليتحدثوا بذلك و ليستعملوا المصطلحات ...أما الباقي لماذا نتحدث بلغة أخرى. ثم إن هذه المصطلحات أصلا في تاريخنا العربي القديم حينما نقلوا العلوم أيضا من الآخرين، وحين ابتكروا هذه العلوم لم تقف حجر عثرة، كانوا إذا وجدوا مقابلا للمصطلح باللغة العربية،استعملوه مباشرة، وإن لم يجدوه استعملوا المصطلح الأجنبي حقبة من الزمن حتى يجدوا لها المقابل المناسب ثم استعملوه. في البداية ابن سينا مثلا تحدث عن شريان الجسم الأعظم باسم الأورطة، عربها بالأورطة، ثم بعد ذلك جاء بعضهم من قبل علي ابن العباس فوجد مثلا كلمة أبهر تصلح لهذا، فاستعمل الأبهر و تركوا الأورطة، وانتهى الموضوع. إذن القضية ليست عقبة، ولتبقى الكلمة الأجنبية يا سيدي، ثم بعد ذلك يعني بكل تواضع نحن الآن في لجنة توحيد المصطلحات الطبية العربية، وفي البرنامج العربي لمنظمة الصحة العالمية، أصدرنا الطبعة الأخيرة من المعجم الطبي الموحد التي تشتمل على 150 ألف مصطلح في العلوم الطبية و الصحية. طيب أكثر من ذلك ماذا يريدون؟ 150 ألف مصطلح هذه لغة بكاملها.وهي متاحة بطبعة ورقية ومتاحة أيضا بطبعة إليكترونية يستطيع الإنسان أن يستعملها كما يشاء.

المصطلحات لم تكن ولن تكون حجر عثرة في وجه التعليم العلمي و الطبي باللغة العربية، وكما قلت يمكن أن يبدأ بالمصطلحات الأجنبية كلها كما هي، و يتحدث المدرس أو المتحدث باللغة العربية، ويستعمل هذه المصطلحات، بعد ذلك لدينا الآن كما قلت 150 ألف مصطلح متاح لهذه المصطلحات الفنية إن صح التعبير، والترجمة في هذا المعجم الموحد متاحة باللغات بالإضافة إلى اللغة العربية الإنجليزية، الفرنسية، الألمانية والإسبانية، وستلحقها إن شاء الله بعض اللغات الأخرى بحيث لا تبقى حجة لدى أحد أن المصطلحات غير متاحة.

● ألا يمكن أن نسمي هذه العقبة التي يراها البعض عقبة كاداء أمام تعريب العلوم انهزاما أو قابلية لفكر المستعمر؟

●● نعم قد يكون هذا. هذه النفسية

الأستاذ محمد الينبوعي : رجل من أهل الخير فقدناه

بقلم : د. عبد الله الهلالي

انتقل إلى عفو الله ورحمته أخونا محمد الينبوعي رحمه الله إثر حادثة أليمة يوم الخميس 12 محرم الحرام 1433هـ الموافق لـ2011/12/8م حوالي التاسعة والنصف مساء.

والأستاذ محمد الينبوعي من مواليد مدينة الريصاني بقصر إرارة عمالة الرشيدية سنة 1967م.

تلقى تعليمه الأولي والابتدائي والإعدادي والثانوي بمنطقة ولادته الرشيدية، وتلقى تعليمه الجامعي بكلية الآداب مكناس وتلقى تعليمه العالي بمدينة الرباط.

حاصل على شهادة دبلوم الدراسات العليا في تخصص اللسانيات العربية وحاصل على دكتوراه الدولة في الدراسات القرآنية المعجمية.

التحق بهيئة التدريس الجامعي يوم 1996/11/25م بكلية الآداب والعلوم الانسانية سايس فاس.

وتحمل عدداً من المسؤوليات العلمية، منها :

- عضويته في مجلس الكلية.
- عضويته في المكتب النقابي المحلي.
- منسق مسلك الدراسات العربية
- منسق ماستر الخطاب اللساني.
- منسق مختبر الخطاب اللساني.

كما يشرف على عدد كبير من رسائل الدكتوراه وناقش عدداً من الأطروحات الجامعية بجامعات وكليات كثيرة بالمغرب.

شارك رحمه الله في تنظيم وإعداد كثير من الندوات العلمية.

وشارك بمداخلات علمية كثيرة في ندوات دولية ووطنية ومحلية.

هذا في جانب التدريس والتعليم وأما في الجا نب الدعوي والتربوي والاجتماعي خارج المنظومة التعليمية، فقد شارك بدروسه التربوية والوعظية في مختلف مساجد مدينة فاس.

وشارك في تأسيس عدد من الجمعيات الخيرية والإحسانية.

- عضو مؤسس لجمعية المواساة والأعمال الاجتماعية بمدينة فاس، وقد توفي رحمه الله وهو رئيسها.
- عضو مؤسس لجمعية إرارة للتنمية، وتوفي رحمه اله وهو رئيسها.
- عضو مؤسس لودادية الخير والنماء وتوفي رحمه الله وهو رئيسها.

إن مدينة فاس بفقدان محمد الينبوعي فقدت سارية علمية ودعوية وخلقية. وبما أن الفقيد رحمه الله كان يسكن بتجزئة الرشيدية بحي الزهور فاس المعروفة بتجزئة "الخير" لذلك فإن سكان الحي أصيبوا بصدمة عنيفة إثر وفاته وكلهم أمل في أن يتحمل المسؤوليات التي تركها المرحوم محمد الينبوعي من يأنس من نفسه القدرة والاستطاعة.

الفقيد محمد الينبوعي

وأما أثر الصدمة على أعضاء هذه الجمعيات الخيرية والإحسانية فلم تقل عن صدمة أهله وأبنائه وإخوانه لأننا بوفاته فقدنا حلقة مهمة جدّا نسأل الله أن يرحمه برحمته الواسعة وأن يسكنه فسيح جنانه.

وأما أبرز صفاته كما عرفته منذ كان طالبا فألخصها كما يلي :

1- صفة التواضع :

لقد كان رحمه الله حريصا على تواضعه وبساطته في خطابه ومشيته في بيته وفي سيارته، حتى اصطلح إخوانه على سيارته بسيارة الفقراء لما يقوم به من قضاء حوائج الناس خصوصاً المحتاجين منهم. ولقد بقيت هذه الصفة ملازمة له منذ كان طالبا إلى أن مات رحمه الله، فرفع الله قدره وأعظم جنازته.

2- صفة الهدوء والابتسامة :

كان رحمه الله دائم الابتسامة والهدوء فنادراً ما يُرَى منه القلق والغضب، وبهذا الحلم وهذا الهدوء استطاع أن يجمع إخوانه وأصدقاءه ومحبيه.

3- صفة الخدمة والتضحية :

كان رحمه الله لا يَرُدُّ طلب خدمة لأحد إن استطاعها وقدر عليها، ولا أدل على ذلك من وفاته وهو مسافر لزيارة امرأة كانت مُصاحبة وصديقة لأمه، ولقضاء مأرب لأحد أصدقائه.

فهنيئاً لأخينا الينبوعي تضحيته، وهنيئا له الجنازة المهيبة التي شيعته، وهنيئا له الأثر الذي تركه بعد موته.

وهنيئا أن ترك علما يُنتفع به وترك صدقات جارية لا ينقطع أجرها ولا يتوقف فضلها.

رحمه الله ووسع عليه في قبره وأصلح ذريته وصبر أهله وأصدقاءه. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا.

وبهذه المناسبة الأليمة تتقدم أسرة جريدة **المحجة** إلى أسرة المرحوم وأبنائه وإخوانه وأقاربه وسائر أصدقائه ، بأحر التعازي والمواساة سائلين الله جل وعلا أن يتقبل الفقيد عنده في جنة الرضوان ويقابله بالعفو والغفران، ويلحقنا به مسلمين تائبين طائعين.

و﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾

المريضة الموجودة لدى كثير من الناس،هذه تتجلى بأشكال مختلفة.المستعمر وجد من أجل أن يستعمر، وهو من مصلحته أن يقوم بشتى الوسائل ليغري بهذا الاستعمار، فلسنا نضع اللوم عليه، اللوم نضعه على أنفسنا، نحن الذين لدينا القابلية للاستعمار كما كان يقول أخي مالك ابن نبي رحمة الله عليه في نظرية من أروع النظريات في اعتقادي في تاريخ الأمم. هل توجد هناك قابلية للاستعمار أم لا توجد. إن كانت لا توجد فلن تنجح أي محاولة من محاولات الاستعمار، أما إن لم توجد فلو لم يأت الاستعمار بقده وقضيضه ورجاله، فإن الإنسان يعيش بنفسية المستعمر ووضعية المستعمر وانهزامية المستعمر، طبعا من الأمور الأساسية وجب أن نعالج أنفسا وأن نعتز بما لدينا وأن نشعر بأننا نحن الذين قدمنا لهذا العالم هذه الثروات العظيمة، وأنه لولا علومنا ولولا القرون العشر المزدهرة التي مرت بنا، لم يكن العالم ليصل إلى هذا المستوى الذي وصل إليه، نحن ساهمنا في هذه الحضارة الإنسانية، وكما يسمونها اليوم العولمة، هذه نحن ساهمنا فيها بعولمتنا، ونجد في كل ملمح من ملامحها لمسة من لمساتنا نحن لا نعادي هذه الحضارة، على العكس هي من أولادنا، لكن نحن نريد أن نهذب هذه الذرية لكي تصبح صالحة للعودة إلى المجد الذي كانت عليه إن شاء الله تعالى.

● ألا ترون أستاذنا الكريم أننا بحاجة إلى قدوة في هذا المجال؟

●● أنا أريد أن أتحدث عن هذا الميدان الذي ذكرناه ابتداء، وهو مثلا ميدان كلية الطب، هناك كليات تعلم الطب باللغة العربية في وقتنا الحاضر، في الكليات السورية جميعا، وهنالك كليتان بالسودان تعلم باللغة العربية، والقضية لا تحتاج إلا إلى عزم، ولاسيما الآن بعد توافر هذه المصطلحات. هناك تجربة رائدة في هذا الموضوع في أواخر القرن الماضي، قام بها أخونا الكريم الدكتور أحمد دياب في جامعة سفاقص، فقد قرر أن يدرس باللغة العربية، اتخذ القرار ولا يستطيع أحد أن يقف في وجهه وكل أستاذ الآن في الجامعات العربية يستطيع أن يفعل ذلك، لأن القوانين والدساتير جميعا تنص على أن اللغة العربية هي لغة التدريس وأنه يجوز استثناء التدريس بغيرها، الاستثناء هو التدريس بغيرها، كل القوانين موجودة فهو قال: القانون معي وقال إن اللغة العربية هي لغة الدولة و لغة الأمة، وقانون الجامعات يقول: إن لغة التعليم هي اللغة العربية إلا في حالات استثنائية، هو قرر أن يستغني عن هذا الاستثناء و بدأ بتعليم أصعب العلوم في الطب وهو التشريح سنة و سنتين كانت من أنجح ما يكون، وأنا تشرفت بزيارته أكثر من مرة وكنت مرة في صحبة الأستاذ الدكتور حسين الجزائري المدير الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية، شهدنا هذه التجربة التي كانت ناجحة بمعنى الكلمة. لكن لم يلبث الذين لا يريدون ذلك أن أوجدوا من العوائق والعراقيل ما جعل هذه التجربة تجهض في بواكيرها... لكن القصد أن هذا ممكن والرجل أثبت ذلك، وهو موجود و يمكن الرجوع إليه وسؤاله عن ذلك.وقد كانت بالفعل تجربة مثارا للإعجاب وما زالت حتى الآن في نظري مثارا للإعجاب ويمكن أن تتكرر بكل بساطة وبكل هدوء، كل أستاذ يريد أن يدرس باللغة العربية، لن يحتج عليه أحد أن يدرس باللغة العربية. الطلبة سيفهمون أكثر ولذلك لو اعترضوا في أول درس لن يعترضوا في الدرس الثاني، والآخرون فالحجة موجودة، نقول لهم عدلوا القانون لنستمع إليكم. أما القانون فيقول الآن اللغة العربية هي لغة التدريس، وأنا منسجم مع هذا القانون والاستثناء لا نريده بكل بساطة.

الآن المصطلحات متاحة وقد قام البرنامج العربي لمنظمة الصحة العالمية ببعض الواجب في هذا المجال، فوفر حتى الآن ترجمة وألف عددا من الكتب الجامعية المرجعية، ساهم فيها عدد من الأساتذة في مختلف كليات الطب العربية وترجم عددا آخر كبيرا من الكتب المرجعية العالمية، هذه متاحة الآن باللغة العربية في منظمة الصحة العالمية، والمنظمة مستعدة لتزويد من شاء بها.

● إذن، القضية قضية إرادة، وهذا النموذج بدأ، والقانون معه، فما المانع إذن؟ هل هناك بعض الأيادي التي لا تريد لهذا الأمر أن يتم؟

●● يا سيدي هذه الأيادي تحاول و نعذرها في محاولاتها لأنها استسلمت للهزيمة، ولكن ما عذرنا نحن؟ كل إنسان من واجبه أن يحاول... أرجو الله سبحانه و تعالى أن تنجح هذه الفكرة الطامحة التي شهدتها بكلية الطب بفاس في شهر أبريل 2011، والتي تطمح إن شاء الله إلى أن تكون هي الرائدة في بلداننا العربية، وذلك بالانتقال بها في هذا القرن الحادي و العشرين إلى التعليم باللغة العربية، وهناك محاولات...تبقى فاس إن شاء الله هي العاصمة العلمية للملكة المغربية، بل والعاصمة العلمية للعالم العربي كله.

شكرا و جزاكم الله خيرا نسأل الله سبحانه و تعالى أن يجمعنا بكم في فرصة لاحقة بحوله وقوته.

على مطالع قرن جديد 5/1

أ. د. عماد الدين خليل

اليوم، ونحن ندلف إلى القرن الحادي والعشرين باتجاه المليار والمائتي مليون عدداً من المسلمين.. نتذكر الدعوة في أيام محنتها الأولى.. زمن الأفراد القلائل المضطهدين.. المطاردين.. ونتذكر الرجل الأول الذي صنع المعجزة.. ونتذكر وعد الله سبحانه بالنصر المبين: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد﴾.

لقد زرع رسول الله ﷺ وزرع معه أصحابه وتابعوه بإحسان، عبر عشرات السنين ومئاتها، وهم يحرثون الأرض ويلقون البذور.. وكانت أبصارهم وعقولهم معلّقة بالله.. ما من كبيرة ولا صغيرة إلاّ وهم يتحركون بها من خلال رؤيتهم الإيمانية التي ترى وجود الإنسان في العالم امتداداً لإرادة الله وقدره.. وكانوا يريدون إعادة صياغة العالم.. قلب تربته العفنة التي غطت على مساحاته من أجل أن تكون الثمار نظيفة قوية معطاء: (كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه، يعجب الزرّاع ليغيظ بهم الكفار).. ولقد كان الحصاد كثيفاً حقاً: ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء توتي أكلها كل حين بإذن ربها؟!﴾..

ورغم أن العالم اختار أن ينقلب على صوت الإسلام، ويمرق عن صراطه المستقيم.. رغم أنه أعاد قلب التربة ثانية لكي يغطي جغرافية القارات كلها بالعفن والفساد فلا يتبقى ما هو نظيف طاهر.. رغم هذا وذاك.. فإن طائفة من أبناء هذه الأمة ستظل تواصل الطريق.. وسيظل أملها معلقاً بالله..أن تعيد صياغة العالم ثانية وثالثة ورابعة إلى أن يتحقق النصر الموعود: ﴿قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين. هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين. ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون إن كنتم مومنين﴾..

إننا ونحن نتحرك في بدايات قرنٍ جديد نتذكر أنه ما من قرن تصرّم من القرون التي اجتازها الإسلام في رحلته الطويلة، كان أتباع محمد ﷺ فيه عاجزين عن الحركة.. عن أن يعملوا شيئاً.. إنه ما من قرن إلاّ وتبرز منهم طائفة ترفع الراية، وتتحرك بإيمانها ويقينها الوضيء لكي تثبّت مواقع هذا الدين وتمدّها إلى الآفاق.

لقد كانت رحلة القرون السابقة مسيرة صعبة حقاً.. باهظة الثمن كثيرة التكاليف.. لكنها كانت في الوقت نفسه كثيرة العطاء.. وإنه ليس ثمة جزاء كبير دون جهد كبير.. ولقد بذل أبناء هذا الدين عبر كل قرن الكثير الكثير جهداً وعرقاً ودماً ودموعاً.. فلم يذهب هذا كلّه عبثاً.. لقد آتى ثماره، وملأ الدنيا عطاءً سخياً..

الدعوة التي كانت تتحرك في طرقات مكة خائفة وجلة، أصبحت تقول كلمتها بمواجهة عروش كسرى وقيصر فتسقطها وتذلّها.. الصلوات التي كانت تقام سراً في دارٍ منزوية في أنحاء أم القرى.. صارت تقام على شواطئ الأطلسي وتخوم الصين.. يطمح أصحابها أن يجتازوا البحار والتخوم لكي لا تبقى ثمة مساحة في العالم لا تقام فيها صلاة ولا يذكر فيها اسم الله.. المستضعفون في الأرض الذين كانوا يطاردون ويضطهدون ويعذّبون ويجلدون.. غدوا قادة العالم وساسته وحكامه.. كتاب الله الذي كان يُحكم بالقتل على قارئة أصبح دستور الدنيا ومرشدها.

لقد كانت مسيرة باهظة حقاً، ولكن الجزاء كان كبيراً !!

إنه ما من أمة في الأرض تعرّضت عبر مسيرتها التاريخية لما تعرّض له أبناء هذا الدين.. لقد تكالبت عليهم قوى العالم كلّه، منفردة حيناً، مجتمعة أحياناً.. وإنها لتختلف وتتنازع وتتناحر فيما بينها إلاّ حينما يكون الأمر قتالاً لهذا الدين، فإنها تأتلف بقدرة قادر لكي تضرب عن قوس واحدة..

منذ معركة الأحزاب حيث تجمع اليهود والوثنية العربية والبدو والمنافقون وحتى اللحظات الراهنة حيث تتجمع معسكرات الصهيونية والصليبية والاستعمار الجديد، كان الإسلام هو هدف الخصوم والبؤرة التي تجذبهم إليها.. ولكنه كان دائماً هدفاً صعباً، وكانت دائماً بؤرة شديدة الجمر، تعرف كيف تحرق الأيدي التي تمتد إليها لكي تطفئ سراجها الوهّاج..

إن هذا الدين يحمل سرّ بقائه المعجز وديمومته المؤكدة.. ولن تستطيع قوة في الأرض أن تمحق كلمته من الوجود.. لقد حدث عبر القرون التي اجتازها الإسلام، أن هزمت كل الحشود والطوابير التي سعت لاغتياله هذا الدين، وبقي الإسلام صامداً، متفرّداً، ماضياً لتحقيق كلمته في الأرض.

خروقٌ في سفينة المجتمع 4

تشتت الولاء، خرق كبير في سفينة المجتمع

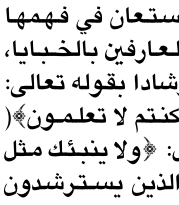

د. عبد المجيد بنمسعود

يلتئم شمل سفينة المجتمع ويشتد عودها إذا اجتمع أهلها، ربابنة ومهندسين، وحراسا وطباخين، وركابا بجميع مستوياتهم ووظائفهم، على كلمة سواء، هي خريطة الإبحار، التي تعرف بها مجاهل المحيطات والبحار، وتحدد من خلالها المطبات والأخطار، وكذا محطات التزود بجميع الاحتياجات والمستلزمات، و هي قبل ذلك، كلمة السر التي تفتح بها المغاليق والأسرار، وهي -إذا تعلق الأمر بسفينة المسلمين- بسم الله، التي بها مجراها وبها مرساها، والتي إذا حيد عنها أوغفل عنها، أو حصل الذهول عن مقتضاها، لسبب من الأسباب، تعرضت عملية الإبحار للفوضى والاضطراب.

ومقتضاها هو الاعتقاد الجازم بأن لا سلامة للسفينة ولا وصول لها إلى بر الأمان وشاطئ النجاة، إلا بالاعتصام بحبل الله المتين، واللواذ بمنهجه القويم في تدبير أمر السفينة والبت في نوازلها ومشكلاتها، ثم العمل بمقتضى هذا الاعتقاد، مع استفراغ الوسع في ترسم خريطة الإبحار بجميع دقائقها وإشاراتها التي يستعان في فهمها بأهل الشأن من الخبراء العارفين بالخبايا، المستشرفين للمآلات، استرشادا بقوله تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾(النحل:43)، وقوله عز وجل: ﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾(فاطر:14) هؤلاء الذين يسترشدون بالنموذج النبوي اهتداء وتفكيرا وتعبيرا وتدبيرا.

إن موقع الكلمة السواء في تدبير أمر سفينة المجتمع هو صمام الأمان الذي يعصمها من كل زيغ وانفلات، أو تشتت وانقسام، من شأنه - إذا حصل- أن يذهب بريحها ويوردها موارد الهلاك. ومن لوازم الكلمة السواء أن يكون كل ما يجري على ظهر السفينة منسجما مع تعاليم خريطة الإبحار، لأن كل مخالفة لذلك من شأنها أن تجر الوبال على أهلها على المدى القريب أو المتوسط أوالبعيد، علما بأن الصواب الذي يهدي إليه نموذج السفينة على مستوى التعامل مع الاجتماع الإنساني، هو التسوية بين المدى البعيد والمدى القريب في استشعار المهالك والأخطار التي تحدق بالسفينة جراء ما يحصل في أي جزء من أجزائها، أو زاوية من زواياها.

إن قاصمة الظهر فيما يحدث لسفينة المجتمع المسلم من ارتجاج وهزات، هو تعدد الولاءات بين أهلها، أي تعدد مرجعياتهم العقدية والفكرية الذي يقوم على التباين الكامل والتناقض التام، ويتفاقم الخطب ويتسع الخرق إذا انتقل تضارب الولاءات والمرجعيات إلى من هم في غرفة القيادة والتسيير، فذلك موذن -إذا حصل- بنقض الغزل الذي نهى عنه القرآن الكريم، أو يدك الحرث كما يقال.

أما الطامة الكبرى فيما نحن فيه، فهي أن يستفرد بغرفة قيادة السفينة أناس غرباء عن أهلها في ولائهم الفكري أو المذهبي، فيسوقونها إلى حيث يريدون، غير عابئين بكونهم عبءا عليها ووبالا على أهلها.

وإذا كانت الحالة الأخيرة مستبعدة اليوم في ظل التحولات الموسومة بالربيع العربي، التي تسعى فيها الشعوب إلى استرجاع زمام تدبير أمرها وتقرير مصيرها، فإن الخوف كل الخوف، هو من بلقنة للخريطة السياسية، تجعل قيادة السفينة مضطرة لتلفيق خريطة الإبحار، وللرضى بأنصاف الحلول أو أرباعها، بما يورثه ذلك من عرقلة وتثبيط.

ما أسعد المجتمعات العربية التي استطاعت أن تتطهر من داء التشرذم وآفة البلقنة، وقبل ذلك من بلاء الاستبداد والقرصنة، فإن ذلك من شأنه أن يعيد سفن تلك المجتمعات الجزئية إلى توازنها، وتجانسها وصفائها، في اتجاه إعادة بناء الذات، واسترجاع ما فات، وتوفير الشروط لجمع أسطول السفن الجزئية تحت قيادة كبرى، أو جعلها سفينة كبرى تخوض لجج المحيطات، وتمارس عملية الهداية والإنقاذ، على هدى وبصيرة من الميثاق الأسمى الذي يهدي للتي هي أقوم: القرآن الكريم، وبيانه الناصع: سنة النبي الكريم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وسيرته المطهرة.

إن بلقنة الخريطة السياسية من شأنها أن تؤدي إلى إهدار كثير من الجهود والأوقات، فما أحوج الوطن إلى صرفها في الارتقاء بمستوى الإنجازعلى صعيد الأوراش المفتوحة طولا وعرضا، ومحاولة تدارك النقص، بل الفجوة الكبرى التي نجمت عن التسيب والفوضى، بسبب تسلط من ليسوا أهلا لقيادة سفينة المجتمع على مقاليد الأمور.

لقد أثبتت التجارب إن على صعيد المغرب، أو صعيد الدول العربية، أن ما يسمى بالتعددية "المفبركة" لم تكن إلا عرقلة كبرى وعقبة كؤودا في طريق التقدم والنهوض واسترجاع منعة الأمة وهيبتها، وأخطر من ذلك، الداء العضال الذي بدأ العرب يتخلصون من عقابيله وشروره، فعادت لهم نضارتهم ورواؤهم. إنه داء التزوير، وتزييف إرادات الشعوب، الذي درج على إنتاج مشهد سياسي كئيب، تمخض عن إحباط كبير كان كفيلا بشل فاعلية الأمة وتعطيل طاقاتها، وزرع اليأس في ربوعها، حتى أدركها لطف الله بها بانبثاق الربيع في أفيائها، فسبحان محيي الأرض بعد موتها.

إن وحدة الأمة عقديا ومذهبيا وفكريا نعمة كبرى، نستطيع أن نلمسها ونراها رأي العين برؤية الشعوب التي أودى بها الصراع الطائفي والإيديولوجي، فمزقها شر ممزق، وأتى على مقدراتها وهددها في وجودها وكيانها. فالخلاف الذي ينطلق من التباين في الولاء العقدي والإيديولوجي نقمة وعذاب، وذلك على وجه الخصوص في المجال الحضاري الذي بناه الإسلام، وتشرب أبناؤه روح الإسلام على مر العصور.

إن الخريطة السياسية في سفينة المجتمع إذا كانت "كثوب ضم سبعين رقعة مشكلة الألوان مختلفات"، لا يمكن إلا أن تمثل عبثا سافرا ولعبة ممجوجة تذهب فيها الأعمار سدى، فهي بهذا الاعتبار اغتيال للأمة وأي اغتيال!!!

إن على الشعوب الإسلامية التي ما زالت تعيش على رواسب البلقنة أن تقلل من أضرار ذلك الداء، من خلال الاحتكام إلى مرجعيتها الإسلامية، ورفع صرح حقوق الإنسان شامخا كما هو في مفهوم الإسلام الحنيف. فليس الأمر في هذا المقام أمر تغليب أشخاص أو منظمات أو أحزاب، ولكنه أمر تغليب أمر دين الله ونصرة ملته، ودخول أهل سفينة المجتمع في السلم كافة، استجابة لأمر الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾(البقرة:208)، ينبغي أن يجري السلوك على هذا المنوال، ضمن هذه الظروف والأحوال، إلى أن تتحرر السفينة من الدخن، وتتطهر من رواسب الماضي الممض ووعثاء السفر المرير، فتتمحض لدين الله العزيز الحكيم. ﴿والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾.

تعزية

السيد عبد العزيز بناني لحكيم في ذمة الله

انتقل إلى عفو الله ورحمته السيد عبد العزيز بناني لحكيم صهر الأستاذين الحسن حمدوشي، وعبد الرزاق الصالحي.

وبهذه المناسبة الأليمة تتقدم أسرة جريدة **المحجة** إلى أسرة المرحوم وأبنائه وأقاربه وأصهاره وسائر أصدقائه ، بأحر التعازي والمواساة سائلين الله جل وعلا أن يتقبل الفقيد عنده في جنة الرضوان ويقابله بالعفو والغفران، ويلحقنا به مسلمين تائبين طائعين.

و﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾

السيد الكبير البويحياوي الإدريسي في ذمة الله

انتقل إلى عفو الله ورحمته السيد الكبير البويحياوي الإدريسي أخو الأستاذ إدريس العيشي.

وبهذه المناسبة الأليمة تتقدم أسرة جريدة **المحجة** إلى الأستاذ إدريس وأسرة المرحوم وأقاربه وسائر أصدقائه، بأحر التعازي والمواساة سائلين الله جل وعلا أن يتقبل الفقيد عنده في جنة الرضوان ويقابله بالعفو والغفران، ويلحقنا به مسلمين تائبين طائعين.

و﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾

حقوق الإنسان في الإسلام

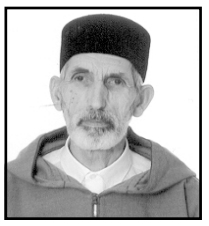

ذ. محمد الصباغ

– **الإسلام نعمة :** الإسلام نعمة ورحمة للعباد، وهو دين التوحيد، ختم الله به الديانات السماوية، على يد محمد ﷺ، الذي جعله الله نبيا ورسولا لخير أمة أخرجت للناس، وهو دين منقذ للبشرية من الشرك والظلم وعذاب يوم القيامة، فصحح الله به عقيدتهم الفاسدة، ووحد صفوفهم وأصلح أحوالهم الاجتماعية، وآخى فيما بينهم، وجعل كل الناس سواء في شرع الله، فلا فرق بين غني أو فقير أو حاكم أو محكوم، وقضى على العادات السيئة التي كانت منتشرة في الجاهلية، كفكرة طلب الثأر، فحث على العفو ورغب فيه، وفرض على المسلمين المساواة في الحقوق والواجبات، وأمرهم بتطبيقها، واعتبر الخروج عنها خروجا عن شرع الله. قال تعالى : ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾(الشورى :الآية 11).

– **حقوق الإنسان الخاصة :** إن النعم والحقوق التي أكرم الله بها العباد كثيرة ومتعددة، وهي عبارة عن مجموعة من المكتسبات المادية أو المعنوية، يمكن للإنسان أن يتمتع بها وهي قسمان : خاصة وعامة، فحقوق الإنسان الخاصة، منها حقه في المواطنة، وحقه في الميراث من أقاربه، إن لم يكن هناك اختلاف في الدين بين الوارث والموروث، وحقه على زوجته والعكس صحيح، وحقه على أولاده عند العجز أوالمرض، كما أن حقوق الأولاد على الآباء واجبة أيضا، كاختيار الأم والاسم وختان الذكور، والإنفاق والرعاية والتعليم والعلاج... أما حقوق المرأة التي نصت عليها الشريعة، فهي لا تقل عن حقوق الرجل، ويجب احترامها وتطبيقها كما هي. فلا تمس بالزيادة أوالنقصان إلا ما كان منها قابلا للاجتهاد أو التعديل من علماء الشريعة، فرأيها في الزواج يعمل به، وحقها في الترشيح أو التصويت يحترم، كما أن حقها في مال زوجها ثابت شرعا، حالة حياته بالإنفاق وبعد مماته بالإرث، وهي حرة في استثمار مالها وتنميته بطرق مشروعة، ولها الحق في طلب الطلاق من زوجها إن ساءت العشرة بينهما، وحقها في الميراث ثابت أيضا، وقد تزيد حصتها على حصة الرجل الذي يرث معها في بعض الحالات، خلافا لمن يظن أن المرأة دائما تأخذ أقل من الرجل في الميراث، ولا تلزم بالنفقة من مالها على نفسها وأولادها وأقاربها، إلا إذا رضيت عن طيب خاطرها، أو كان العائل من الذكور منعدما أو غائبا. ومن حقوق الإنسان في الإسلام، حق الفقير على الغني في إعطائه الزكاة والصدقات قال تعالى :﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾(التوبة :60). وحقوقه على ولاة الأمر في توفير الشغل له حسب ثقافته وطاقته، وتوفير الأمن له كما لغيره من المواطنين، وإعطائه من المال ما ينفقه على نفسه وعياله، وخاصة عند الفقر أو المرض أو العجز ولو كان هذا الإنسان ذميا يكفي أنه يعيش بين المسلمين وينتمي إلى وطنهم، فهذا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، لقي يهوديا يطلب الصدقة من الناس وهو شيخ كبير، فأمر أن يخصص له من بيت مال المسلمين، ما يسد به حاجته، وقال لا ينبغي أن نأخذ منك الجزية وأنت في شبابك، و نتركك تتسول وأنت شيخ عجوز.

وهناك حقوق الجار على جاره، فلا يتعاظم عليه أو يؤذيه، بل ينبغي أن يحترمه ويكرمه ويساعده اذا كان محتاجا، وقد كان عبد الله بن المبارك رحمه الله، يمر بأولاد جاره اليهودي ولديه من المشتريات كالفواكه وغيرها، فيعطي شيئا منها لجاره اليهودي الفقير، فأسلم بعد ما قذف الله عز وجل الإيمان في قلبه، وقد يقلق الجار راحة جيرانه ببعض التصرفات، كما يحدث في مجتمعنا بمناسبة الأفراح والحفلات الليلية التي يتأذى من هرجها ومرجها الكبار والصغار والمرضى، دون شعور أومسؤولية عما ينتهك من حقوق الغير، التي سيحاسب فاعلها يوم لقاء الله عز وجل.

– **حقوق الإنسان العامة :** أما حقوق الإنسان العامة، فتتجلى في كثير من الأمور منها : حقه في التمتع بموارد الوطن و منتجاته، من مياه ومعادن ومزروعات وطاقة وخيرات البحر... فضلا عن التجول في المدن والقرى والشواطئ والأسواق وغيرها، آملا في ألا يرى من المناظر في هذا الشاطئ أو ذاك المصطاف ما تنتهك به حرمات الدين والأخلاق، ولكن مع الأسف قد يحدث ما لم يكن يتمناه، ويحسبه بعض الناس أمرا عاديا، وقد استغرب أحد العلماء من جنوب إفريقيا، كان قد زار المغرب ورأى فيه ما رأى، وحين سئل عن الأشياء التي لم تعجبه في هذا البلد، قال أستغرب من أمرين اثنين في هذا البلد المسلم، كثرة المتبرجات من نسائه، وغلق أبواب مساجده بعد الصلاة. كما أن للإنسان الحق في الجلوس في الحدائق العامة وفي المقاهي، ما لم يكن ذلك ضارا بالمارة أو فيه اختلاط بين النساء والرجال، وله الحق في ولوج بعض المؤسسات العامة كالمستشفيات والمساجد والجامعات ودور البريد وغيرها من الدوائر الحكومية، لقضاء مآربه، قال الله تعالى:﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾(النور : 29).

فالمراد بالبيوت هنا، الإدارات والمؤسسات العمومية على رأي أغلب المفسرين. والمراد بالمتاع، الأغراض والحاجات التي يراد تحقيقها، وهناك حقوق للعلماء تتمثل في احترامهم وتقديرهم والعمل بأقوالهم، والسير على نهجهم وسلوكهم، كما أن للناس حقوقا عليهم، في أن يبينوا لهم الحلال والحرام والصالح والضار، وأن يفتوهم بما شرعه الله ورسوله ﷺ في الدين، متى سئلوا عن ذلك، وقد كان العلماء في بلادنا على عهد قريب، يلقون الدروس في بعض المساجد والأضرحة عقب صلاة العصر وبين العشاءين، من أجل تفقيه الناس في أمور دينهم ودنياهم، وبما يهذب النفوس ويحسن العلاقات فيما بينهم، مراعين في فتاولهم الزمان والمكان والحالة الاجتماعية والنفسية لكل سائل، كما كان يفعل الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم، ومن أمثلة ذلك، أن رجلا جاء إلى الرسول ﷺ، وسأله عن القبلة في رمضان، فقال :(لا مانع من ذلك) ثم جاء آخر وسأله نفس السؤال، فقال له ﷺ : (لا يجوز ذلك) والخلاف في الجوابين، يرجع إلى أن السائل الأول كان رجلا شيخا كبير السن، فرخص له في ذلك، لأنه لا خوف عليه من إفساد صيامه لشيخوخته، بينما السائل الثاني كان شابا قويا، فمنعه من ذلك خوفا عليه من أن يفسد صومه.

كما جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنهما، وسأله هل للقاتل من توبة؟ فأمعن النظر فيه ثم قال له : لا توبة للقاتل، ولما انصرف الرجل، قالوا له، كنت تقول لنا يا شيخ بأن للقاتل توبة، فقال :نعم، صحيح للقاتل توبة، ولكن السائل نظرت إليه فرأيت علامة الغضب على وجهه، وعلمت أنه جاء ليأخذ الرخصة فيقتل مومنا ثم يتوب، ولهذا أجبته بعدم التوبة من القاتل. هكذا كان علماؤنا يفتون الناس بفتاوى تنير لهم الطريق المستقيم، وتبعدهم عن الوقوع في المشاكل التي نعاني منها الآن، من قتل وسرقة واغتصاب...فكان دورهم في إصلاح المجتمع ناجحا وفعالا إلى أبعد الحدود.

– **احترام حقوق الناس :** إن من الواجب على من يديرون مؤسسات الوطن ويشرفون على إنجاز مصالح الناس أن يكونوا في مستوى المسؤولية، وألا تميل نفوسهم إلى الطمع في ما ليس لهم حق فيه، فيدفعهم ذلك الطمع إلى قبول ما يسمونه بالهدية أو هي في الحقيقة رشوة حرمها الله و رسوله ﷺ، والتي قال عنها عليه الصلاة والسلام : «لعن الله الراشي والمرتشي والرائش» أي الوسيط بينهما، وهذه الصفة المنبوذة شرعا وقانونا.تضر بالمسلمين و تعطل مصالحهم، وتكون أحيانا سببا في جعل الحق في غير موضعه، وقد ظهرت لأول مرة في مجتمع المسلمين على يد المغيرة بن شعبة الذي أعطى درهما لبواب عثمان رضي الله عنه، كي يسمح له بالدخول عليه. فالرشوة داء خطير، ومرض لا دواء له إلا التقوى والخوف من الله ومحاسبة النفس، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، وتزينوا للعرض الأكبر" ﴿يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾(الحاقة :17). الحديث أخرجه أبو نعيم في الحلية . ولا ننسى الخلق الحسن الذي هو أساس الخير والفضيلة بين الناس، وهو صفة حسنة وعطاء مبارك يكرم به الله من شاء من عباده. يقول ابن عباس رضي الله عنهما : في ثلاث خصال : "ما نزل غيث بأرض إلا حمدت الله وسررت بذلك، وليس لي فيها شاة ولا بعير، ولا سمعت بقاض عادل إلا دعوت الله له، وليس عنده لي قضية، ولا عرفت آية من كتاب الله، إلا وددت أن الناس يعرفون منها ما أعرف". وقد سئل الفيلسوف أرسطو عن صفة الرجل المثالي، فقال : الرجل المثالي هوالذي يفرح بالأعمال التي يؤديها للآخرين، فالذي يحب الخير للناس ويعمل على احترام حقوقهم، ينال رضى الله ورضى رسوله ﷺ، ومن أخل بالأمانة التي كلف بها فهوآثم، لا يقل خطورة عمن قتل أوسرق أوزنى... لذا فلا ينبغي إعفاؤه من العقاب الدنيوي، قال تعالى :﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الالباب لعلكم تتقون﴾(البقرة :178). وفي ذلك زجر وتخويف لمن يخافون الناس ولا يخافون الله، قال تعالى :﴿يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله﴾(النساء : 107).

حقوق الإنسان في الغرب

هذا عن حقوق الإنسان في الإسلام، أما عن حقوقه في منظور الغرب فهو مختلف، رغم وجود الكثير من المنظمات والجمعيات الحقوقية، التي تطالب بحق الإنسان في الأمن والشغل والعقيدة وغيرها، إلا أن ممارسة هذه الحقوق يبقى معطلا بشكل كبير مع الأقلية المسلمة وغير المسلمة التي هاجرت إلى بلدانهم، حيث يمارس عليهم الضغط بقوانين وتشريعات تحرمهم من بعض الحقوق ولو كانوا من الجيل الثاني أوالثالث، هذه هي قوانينهم، وهذا هو لب حقوق الإنسان عندهم، يسمحون لأنفسهم بما يريدون ولو على حساب غيرهم، ويحرمون غيرهم من حقوقهم متى كان ذلك يصب في مصلحتهم، ولو أدى الحال إلى إهانة غيرهم وتدنيس كرامتهم، فاعتداء سلمان رشدي مثلا، على مقدسات المسلمين والرسوم الكاريكاتورية المهينة لشخص رسول الله ﷺ، وتمزيق المصحف الكريم على يد الجنود وغيرهم في أكثر من مكان، بدعوى حرية التعبير وحرية الرأي، وهي في الحقيقة إعطاء الرخصة للاعتداء على كرامة الغير وإهانة مقدساته، كل ذلك في نظرهم لا يساوي شيئا لكن حينما قام شخص مسلم برمي الصليب عبر النافذة إلى خارج القاعة، اعتبروه مجرما وخارجا عن القانون، وحكم عليه من طرف إحدى المحاكم الإيطالية بثمانية أشهر سجنا نافذة!!

تعزية

التهامي محجوبي والد أخينا السيد حسن محجوبي في ذمة الله

انتقل إلى عفو الله ورحمته التهامي محجوبي والد السيد حسن محجوبي يوم الثلاثاء 10 محرم الحرام 1433هـ الموافق لـ6 دجنبر 2011م .

وبهذه المناسبة الأليمة تتقدم أسرة جريدة **المحجة** إلى السيد حسن وإلى إخوانه وأخواته وكافة أسرة الفقيد، بأحر التعازي والمواساة سائلين الله جل وعلا أن يقابل الفقيد بعفوه وغفرانه ويسكنه فسيح جنانه ويمتعه برضوانه، ويرزق ذويه الصبر والاحتساب، ويلحقنا به مسلمين تائبين طائعين.

و﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾

■ كما يتقدم كذلك **عمال مطبعة إنفو-برانت وأسرهم** بأحر التعازي إلى مدير المطبعة حسن محجوبي، سائلين الله عز وجل أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته وأن يسكنه فسيح جنانه.

و﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾

نافذة المرأة المسلمة

أوراق شاهدة

ذة. فوزية حجبي
al.abira@hotmail.com

نساء المعالي ونساء ''السيليكون''

تهل علينا الهجرة النبوية بكل حمولتها الغضة اليانعة، ومعانيها البليغة الدلالات والمحطات ونحن في حالنا هذا من التدافع المنحرف المنطلقات والغايات يصدق فينا قوله تعالى : ﴿اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتاتون السحر وأنتم تبصرون﴾.

ليضعنا الله عز وجل أمام هذا التشخيص الحكيم لأدوائنا التي تنطلق من القلب وتعود إليه مصداقا لحديث رسول الله ﷺ عن صلاح وفساد مضغة القلب.

وسنتوقف عند بعض هذه الدلالات المضيئة من الهجرة النبوية، علما أن السيرة مشكاة كنوز، يحار معها لب المشتاق، حين ينشد الارتواء.

وأعني بالمشتاق ذاك الذي عرف فغرف، ولا أعني بالمعرفة تلك التي يفرغها بعض الدعاة من شحنتها الروحية ويحملوها لمستمعيهم مجرد معارف ومعلومات باردة مرصوصة اللفظ حول مسار الهجرة، استهلالا ببيعة العقبة الثانية وتآمر المشركين في دار الندوة على قتل رسول الله ﷺ، وانتهاء بالوصول إلى دار النصرة الربانية المباركة بالمدينة.

بل أعني بالمعرفة تلك التي يستلهم المرء فيها بعد طول تشرب واستحضار "قلبي لا عقلي مجرد فقط "، معنى كل محطة في الهجرة النبوية، والرسائل التشريعية في العبادات والمعاملات التي رشحت عن هذه الهجرة من مواطن الاستضعاف إلى مواطن التمكين والعزة.

ولا تكاد تجد في زمن المخلفين الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات إلا قلة مهمومة بالدين، تنشد إحياء هذه الرسائل التي لو فكت شفرتها لخلقت لنا رصيدا من مدونات للسلوك الحضاري الرفيع تذل لها رؤوس الجبابرة وتنكسر لها رقاب الرويبضة.

وفك الشفرة يتطلب اشتغالا على مستوى الأنفس والقلوب كما قلنا في بداية المقال لإخلائها من الإفراط في التهالك على الدنيا وزينتها وشحنها بروح الدين، حتى إذا استوت على سوقها وتشوقت إلى أعمال الجنة فتح الله عليها ووفقها إلى إدراك مضامين رسائل القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

وفي السياق يمكن أن نستدل على ملامح هذه الأرواح النورانية المشغولة بعيوبها وبعمليات التطهر والتزكي، باستدعاء شخصين من الزمن الحاضر، أحدهما أفضى إلى ما قدم من أعمال جليلة في سبيل الدعوة والآخر لازال على قيد الحياة وما بدل تبديلا. ويتعلق الأمر بالدكتور فريد الأنصاري عليه أطيب الرحمات، الذي تذهل وتحار العقول لمرامي ومقاصد كتاباته سواء منها الأدبية أو الفكرية وهي تغرف من كتاب الله عز وجل وسيرة المصطفى ﷺ فتبسط أمامنا فتوحات ربانية عجيبة في مقاربة الكلمات وسيل المعاني المحجوبة إلا على من فتح الله عليه.

كما أضع بين يديك قارئي الشخصية الفذة الأخرى : شخصية الأستاذ فتح الله كولن أمد الله في عمره وأحاطه بأنوار القبول والتمكين، تلك الشخصية التي كلما وضعت قطافها النوراني بين يدي تهت في دروبها وصعقتني فيوضات المعاني التي تنسكب من حروفها، إذ يلج فتح الله كولن المحراب القرآني عارفا، "والعارف لا يعرف كما يقول صوفيونا السنيون"، ويطلع إلى السطح محملا بكنوز المعاني، حيث يصلها بمنحوتاته التأملية في أسفار السنة النبوية الشريفة، ليقدمها للقارئ خارطة طريق مذهلة في تلمس معالم السراط المستقيم، للخروج من متاهات الأقوال والأحوال إلى مروج الولاية والاصطفاء.

وكلا الرجلين قبل الغوص المبارك في هذا المحيط الزاخر سبقتهما مسيرتهما الربانية صلاة وعبادات ومعاملات وإيثارا للحق وتجملا بالتقوى. وأمثال هؤلاء العارفين هم الطليعة المباركة التي من شأنها أن تقود أجيال الصحوة إلى صناعة الفلاح مصداقا لما جاء في سورة العصر، من خلال القرآن الكريم وسيرة المصطفى ﷺ، وعشرته الميمونة، وأصحابه الأخيار. أولئك الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله سبحانه وتعالى والهرولة إلى حلاله والفرار من حرامه.

فهل نملك ونحن المشدودون إلى الثرى.. المثقلون بأوزارنا، زاد العارفين من أولئك الفرسان النورانيين لنفك شفرة دروس وعبر أحداث عظيمة كأحداث الهجرة النبوية، وهل نستطيع كسر الطوق الرخامي الذي سيجنا به قلوبنا لنتمثل بحق خفايا تلك السير الرجالية والنسائية المنقطعة النظير؟؟؟.

إن الخواء الذي يجرف أبناءنا اللحظة إلى مستنقعات الغثائية ويدفعهم دفعا إلى حشو خوائهم بتوافه الأمور، حد طلاء كل جدران المدن المغربية على سبيل المثال بطلاءين لا ثالث لهما : الأحمر الوادي والأخضر الرجاوي، وتسطير شعارات استرخاص الأرواح من أجل فريق رياضي ينعتونه بأنه "أمل الأمة"، بل حد الموت من شدة الفرح لتأهل الفريق المأثور، لهو الطامة الكبرى.

وتلك قصة أخرى... وبالعودة إلى أبطال الهجرة النبوية بين مهاجرين وأنصار، من الذين سطروا ملاحم عظيمة في الثبات على دينهم فإن إطلالتنا هذه العابرة لن تستطيع الإحاطة ولو بتفاصيل سيرة واحدة من سيرهم العملاقة وبالتالي وبالنظر إلى المقصد الأول لهذا المقال وهو التوقف عند الهجرة النسائية إلى المدينة رفقة رسول الله ﷺ ابتغاء نصرة الدعوة وفي أشد الظروف قسوة ووحشة لنصوغ بيانا في تفسير " الواضحات " من ملامح التمكين الإسلامي للمرأة، فسنكتفي بالتدبر في بعض من زوايا تجربة امرأة واحدة، واحدة فقط، يفوق مستوى حركيتها، ونبل تصرفاتها وجرأة مواقفها البطولية، تطلعات نساء الزمن الحاضر المهووسات بمفهوم الحقوق فحسب.

ومناسبة هذا الاختيار دون غيره كما لمحنا إلى ذلك، هو ما استفز هاجع مشاعري في الأيام الأخيرة، وأنا لا أكاد في أية محطة مكتوبة أو مشاهدة عبر الفضائيات أجد تصريحا يخلو رمزا أو إيضاحا من عبارات اللمز في قدرة المشروع الإسلامي على مسايرة الطفرة التقدمية التي عرفتها المرأة العربية المسلمة، والخوف كل الخوف مع صعود الحركات الإسلامية وتسلمها مقاليد الحكم من انتكاسة لهذه الطفرة، وارتداد لوضعية المرأة إلى مستويات الحجر والتغطية الكاملة للجسم والجلد والرجم كما لا يفتأون يولولون.

وإذا كان مفهوما أن تروج هذه الإساءات على لسان الذين يستغشون ثيابهم باعتبارهم قادة لمشروع هيمني على كل المستويات بما فيه الثقافي، وكل تراجع منهم سيستتبعه تراجع على مستوى مكتسباتهم الاستعمارية الجديدة، فإن ما يغص به القلب قبل الحلق هو ترديد أبناء جلدتنا لهذه الافتراءات وشدهم على قلوبهم هلعا من وصول "الإسلاميين" إلى السلطة بما يعني ذلك " كما يعتقدون " من ضرب لنضالهم المستميت لإنصاف المرأة.

ومع ذلك، فلا أسرع من أفول نجم الفقاعات الطائرة، والتي تتبدد مع أول زمجرة للرياح وبالعودة إلى هذه السيرة النسائية الفريدة والمرتبطة بالهجرة النبوية، سيرة امرأة قامتها المديدة كما أسلفت أبهى وأشرف من سيرة حقوقيات اليوم، تتهاوى النماذج التي يتم تلميعها ونفخ قاماتها القزمية بسيليكون المهرجانات والميكروفونات، إذ تقارن بسيرتها المليئة بدفق إيمانها وعلمها وفقهها وبسالتها على مستوى الفضاء العام ويتعلق الأمر بأم سلمة هند بنت أمية بن المغيرة المخزومية، زوجة رسول الله ﷺ التي ما اختارها الله عز وجل لتكون قرينة أطهر الخلق إلا لما وقر في قلبها وسلوكها من سمات نادرة عجيبة نتوقف عندها في حلقة قادمة بإذن الله، ونحن نعلم علم اليقين أن الرياح اللواقح لا تفتأ تنسج خيوط الحياة الرسالية، غير عابئة بالفقاعات مهما انتفخت وانتفشت بالسيليكون أو بغيره.

آيبون... تائبون!

ذة. نبيلة عزوزي

29– قبل أن نندم

أخذ درسا بليغا من حيث لا يدري، وهو في رحلة على متن القطار : وجد راكبا شابا في المقصورة يعبر لأصدقائه عن سعادته ورحلته الممتعة مع حبيبته. فأول مرة يصحبها في رحلة استجمام خلال عطلته.. حيث دللها كثيرا.. وأحبها وأحبته أكثر!.

لم تكن الحبيبة سوى أمه الحنون،.. سافرت معه بعد انقضاء عدتها.. يبكي ذلك الشاب ويضيف : "توفي أبي رحمه الله بعد تخرجي مباشرة، ولم "يذق" من راتبي.. كنت أردد طيلة الرحلة : يا ليت أبي كان معنا!".

تأثر مسافرنا تأثرا بليغا.. فقد عمل منذ زمن بعيد، وسافر كثيرا، ولكنه لا يفكر إلا في زوجه وأبنائه.. ولم يصطحب والديه ولو في خرجة قصيرة!

قرر أن يصطحبهما وأسرته في عطلته، رغم أنف زوجه وأبنائه..

استمتع معهما بعطلته استمتاعا فريدا لأول مرة في حياته.. كانا سعيدين يتنافسان على الدعاء له ولأبنائه.. كانت أمه تداعب الموج كطفلة.. فلأول مرة ترى البحر.. وكان أبوه يجلس على تلك الصخرة الكبيرة يتمايل مع سبحته ويراقب أحفاده يسبحون..!

تنهد مسافرنا وهو يقضي عطلته رفقة أبنائه في المكان نفسه... لكنه يفتقد والديه.. فقد كانت أول وآخر رحلة معهما.. رحمهما الله.

وفاء لذكراهما، فإنه يبعث برسالة إلى الأبناء :

"لا تنسيكم أنانيتكم وأسركم الصغيرة الوالدين قبل فوات الأوان.. لا تظنوا أنهما كبرا ولن يستمتعا بالسفر.. أرجوكم دللوهم أكثر مما كانا يدللانكم حين كنتم صغارا!"

نتمة الحديث

إذا أطّرها الرشاد والنصح للرعية بالتحديد السليم للمقاصد والغايات، وابتعدت في الحكم عن الميل إلى المشقة والإعنات، واجتنبت القصد إلى الغش فلن تعدم، لتحقيق ذلك، الوسائل والأدوات.

وإذا بالغ الراعي في تضييع رعيّته رغم أدائها لحقه من الطاعة والمحبة والنصح،... فإن القدرة الإلهية قد تتدخل لإحلال النقمة به نصرة للمظلوم وتحقيقا لوعد القائل: "...لأنصرنّك ولو بعد حين"(14).

وإذا نجا من عقوبة الدنيا فلا: ﴿إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين﴾(الدخان : 40).

وحاشى أن يموت المظلوم ويبقى الظالم: ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾(الشعراء : 227).

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

1- رواه البخاري في كتاب الأحكام عن مالك عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

2- البخاري كتاب الأحكام عن أبي هريرة رضي الله عنه.

3- ارتباط المسؤولية بحق الله هو ارتباط بالكمال فتطلب على وجه الكمال بينما ارتباطها بالخلق ارتباط بالناقص مما يدعو إلى طلبها على وجه ناقص ثم لا يمكن أن تكون استحقاقا لأن الناس ليسوا على درجة واحدة في الاستحقاق.

4- خالد محمد خالد خلفاء الرسول ص 65 دار الفكر ط1، 1418هـ - 1997م.

5- وقد يكون هذا من بين الأسباب التي من أجلها شرع الله تعالى الطلاق مع شدة بغضه له، فإذا كانت العلاقة بين الزوجين بلغت درجة من السوء يتعذر معها التعاون على مسؤولية الأسرة فالفراق خير من بقاء لا ترجى ثمرته.

6- فقد عرض على رسول الله ﷺ الملك فأبى.

7- هذا مستخلص من قول السيدة عائشة رضي الله عنها " أنهلك وفينا الصالحون؟ قال ﷺ :" نعم إذا كثر الخبث".

8- مستلهم من قوله تعالى : ﴿...إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويوتون الزكاة وهم راكعون﴾(المائدة).

9- يتم ذلك طبعا بالنصح والموعظة ويرجع ذلك بالأساس إلى ما تُكنّه الرعية من حب الخير لراعيها.

10- البخاري في كتاب الأحكام وأن قصد به النبي ﷺ راعي الغنم الذي يصعد بغنمه الجبال الشاهقة فيعرضها للتردي والتحطم إلا أن المعنى أكبر وأبعد ويشمل كل قائد وكل رعية.

11- البخاري كتاب الأحكام باب من استرعى رعية فلم ينصح عن معقل بن يسار.

12- المرجع السابق

13- البخاري كتاب الأحكام باب من استرعى رعية فلم ينصح عن معقل بن يسار.

14- سنن الترمذي ،ابن ماجة، ومسند أحمد.

نافذة على التراث

إعداد : الدكتور عبد الرحيم الرحموني

من البيان القرآني

الإيجاز في القرآن الكريم

الإيجاز أن يحتوي اللفظ على معان متعددة نحو: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ الآية، فإن "العدل" هو: الصراط المستقيم المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط المومَى به إلى جميع الواجبات في الاعتقاد والأخلاق والعبودية. و "الإحسان" هو: الإخلاص في واجبات العبودية لتفسيره في الحديث، بقوله ﷺ : «أن تعبد الله كأنك تراه»؛ أي تعبده مخلصاً في نيتك، وواقفاً في الخضوع، آخذا أهبة الحذر إلى ما لا يحصى، و"إيتاء ذي القربى" هو: الزيادة على الواجب من النوافل، هذا في الأوامر، وأما النواهي فبالفحشاء الإشارة إلى القوة الشهوانية، وبالمنكر إلى الإفراط الحاصل من آثار الغضبية، أوكل محرم شرعاً، وبالبغي إلى الاستعلاء الفائض عن الوهمية.

قلت: ولهذا قال ابن مسعود: ما في القرآن آية أجمع للخير والشر من هذه الآية، أخرجه في المستدرك. وروى البيهقي في شعب الإيمان عن الحسن أنه قرأها يوماً ثم وقف فقال: إن الله جمع لكم الخير كله والشر كله في آية واحدة، فوالله ما ترك العدل والإحسان من طاعة الله شيئاً إلا جمعه، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي من معصية الله شيئاً إلا جمعه.

وروى أيضاً عن ابن شهاب في معنى حديث الشيخين بعثت بجوامع الكلم، قال: بلغني أن جوامع الكلم أن الله يجمع له الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد والأمرين ونحو ذلك، ومن ذلك قوله تعالى: "خذ العفو" الآية، فإنها جامعة لمكارم الأخلاق، لأن في "أخذ العفو" التساهل والتسامح في الحقوق واللين والرفق في الدعاء إلى الدين، وفي "الأمر بالمعروف" كف الأذى وغض البصر وما شاكلهما من المحرمات، وفي الإعراض بالصبر والحلم والتؤدة.

● الإتقان في علوم القرآن للسيوطي

من آداب النبوة

قال محمد بن علي بن الحسين -رضوان الله عليهم: إن الله جلّ وعزّ- أدّب محمداً صلى الله عليه أحسن الأدب، فقال تبارك وتعالى: "خُذ العفوَ وأمرْ بالعُرف وأعرضْ عن الجاهلين".فلمّا قبل عنَ ربه جل وعز، وعمل بمَا أمره به ربُّه أثنى عليه فقال: "وإنَّكَ لعلى خُلُقٍ عظيم".

وقال ﷺ : «أوصاني ربي بتسع خصال: الإخلاص في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والفضل في الفقر والغنى، وأن أعفو عمّن ظلمني، وأعطي من حرمني، وأصل من قطعني، وأن يكون نطقي ذكْراً، وصمتي فكراً، ونظري عبَراً».

وقال أنس بن مالك: لمّا قدم رسول الله ﷺ المدينة جاءت بي أمي إليه فقالت: يا رسول الله، هذا ابني جئتُك به ليخدمك، فخدمتُه عشرَ سنين ما سمعته قال أفّ قطّ، ولا قال في شيء فعلتُه: لم فعلتَه؟ ولا قال في شيء لم أفعلْه: لمَ لَمْ تفعلْه؟. فلما كانت السنة التي توفي رسول الله ﷺ جاءته أمي، فقالت: خادمك أنس تدعو الله له، فقال: "اللهم أطل عمرَه، وكثِّر ولدَه ومالَه، واغفر له". فقال أنس: قد دفنت من ولدي مائةً إلا اثنين، أو مائة واثنين، وغلّتي تأتيني في السنة مرتين. وبلغ سنة مائة سنة وسنين بعد ذلك لم يعُدَّه، وخلّف من الولد عدداً كالقبيلة الوافرة. قال أنس: وإني لأرجو الله في الدعوة الرابعة.

وجاءه رجل فقال: يا رسول الله أوصني، فقال: "عليك بتقوى الله واليأس عما في أيديهم، وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر، وإذا صليت فصلّ صلاة مودّع وإياك وما يُعتذر فيه". فقال: زدني، قال: "حسن الخلق وصلة الرحم يزيدان في العمر".

● ربيع الأبرار للزمخشري

من دعاء الأعراب

قال عمرُ بن عبد العزيز رضي الله عنه : ما قَوْم أَشْبَه بالسلف من الأعراب لولا جَفَاء فيهم. وقال غَيْلان: إذا أَردتَ أن تَسْمع الدُّعاء فاسمع دُعاء الأعراب.

قال أبو حاتم: أَمْلَى علينا أَعرابي! يقال له مرثد: اللهم اغْفِر لي قبل ألاّ أقدرَ على استغفارك حين يَفْنى الأجَل، ويَنْقَطع العَمَل. أَعنِّي على الموت وكُرْبَته، وعلى القَبْر وغُمَّته، وعلى الميزان وخِفّته وعلى الصِّراط وزَلّته، وعلى يوم القيامة ورَوْعته. اغفر لي مَغْفرة واسعة، لا تُغادر ذَنْباً، ولا تَدَع كَرْباً. اغْفِر لي جميع ما افْتَرَضْتَ عليَّ ولم أُؤده إليك، اغفر لي جميعَ ما تُبْتُ إليك منه ثم عدْتُ فيه. يارب، تظاهرَتْ عليّ منك النِّعم، وتداركتْ عندك منّي الذنوب، فلك الحمد على النِّعم التي تظاهرَتْ، وأستغفرك للذنوب التي تَدَاركت، وأَمْسيتَ عن عذابي غَنيّا، وأصبحتُ إلى رحمتك فقيراً؟ اللهم إنِّي أسألك نَجَاح الأمَل عند انقطاع الأجل، اللهم اجعل خيْرَ عَمَلي ما وَلي أجَلي، اللهم اجعلني من الذين إذا أعطيتَهم شكَروا، وإذا ابتليتَهم صبروا، وإذا هم ذكرتهم ذكروا، واجعل لي قلباً توَّاباً أواباً، لا فاجراً ولا مُرْتاباً، اجعلني من الذين إذا أحسنوا ازدادوا، وإذا أساءوا استغفروا، اللهم لا تُحَقِّق عليَّ العَذاب، ولا تَقْطَع بي الأسباب، واحفظني في كل ما تَحيط به شفَقتي، وتأتي من ورائه سُبُحَاتي، وتَعْجَزُ عنه قُوَّتي، أَدْعوك دُعاء خَفيف عملُه، مُتَظاهرةٍ ذُنوبهُ، ضنينٍ على نفسه، دُعاءَ مَنْ بدنه ضعيف، ومُنَّته عاجزة، قد انتهَت عُدَّته، وخَلُقَت جِدَّته، وتمَّ ظمْؤهُ. اللهم لا تُخَيِّبني وأنا أَرْجوك، ولا تُعَذِّبني وأَنا أدعوك، والحمدُ لله على حِلْمه بعد علْمه، وعلى عَفْوه بعد قُدْرَته، اللهم إنّي أَعوذ بك منَ الفقر إلاّ إليك، ومن الذُّل إلاّ لك، وأعوذ بك أن أقول زُوراً، أو أغشى فُجوراً، أو أكون بك مَغْروراً، أعوذ بك من شماتة الأعداء، وعُضال الداء، وخَيْبة الرَّجاء، وزَوال النِّعمة، أو فجاءة النِّقمة.

● العقد الفريد لابن عبد ربه

سياسة العقاب

من السياسة في العقوبة السلطانية أن تُعَجَّل تارة وتؤجل أخرى، لما في ذلك من الفائدة المقصودة الحصول. قال بعضهم: ليكن عقابك مُعَجَّلاً ومؤجلاً حتى يظن السالم منه أنه سياسة، فلا ينبسط إلى العودة إلى مثل فعله لخوفه من عقوبته.

قلت: ووجوه الفائدة في ذلك متعددة، والناظر إليها بعين البصيرة يعتمد منها ما يقتضيه الوقت، والحال.

كما ينبغي مطابقة العقوبة للجناية سراً وعلانية. قال بعضهم: اجعل لذنب السر عقوبة السر، ولذنب العلانية عقوبة علانية، فإنك إذا عاقبت على ذنب السر علانية، رأى الناس العقوبة، وغفلوا عن الذنب فرموا رأيك بالفساد، ونسبوك إلى الظلم، وإذا عاقبت على ذنب العلانية سراً، انبسطت عليك الذنوب واجترأ الظالم والسفيه.

قال: وقد تندر من ذلك ندرات يعاقب فيها السلطان على ذنب العلانية سراً إذا أراد أن يتصف بالحلم. قلت: وقد تقتضي الحال شهرة العقوبة، وإن خفيت جنايتها، حيث يؤمن ذلك المحذور.

قلت: وقد تقتضي الحال شهرة العقوبة، وإن خفيت جنايتها، حيث يؤمن ذلك المحذور.

● بدائع السلك في طبائع الملك لابن الأزرق

ومن مواقف الأعراب

خرج الحجّاج ذات يوم فأصحَر، وحضَر غَداؤُه فقال: اطلبوا من يتغدَّى معي، فطلبوا فإذا أعرابيٌّ في شَملة، فأُتِيَ به، فقال: السَّلام عليكم، قال: هلمَّ أيها الأعرابي، قال: قد دعاني مَن هو أكرم منك فأجبته، قال: ومن هو؟ قال: دعاني اللَّه ربِّي إلى الصوم فأنا صائم؟ قال: وصومٌ في مثل هذا اليوم الحارّ. قال: صمتُ ليومٍ هو أحرُّ منه. قال: فأفطِر اليومَ وصمْ غداً، قال: ويضمنُ لي الأمير أني أعيشُ إلى غد؟ قال: ليس ذلك إليه؟ قال: فكيف يسألني عاجلاً بآجل ليس إليه؟ قال: إنّه طعام طيّب، قال: ما طَيِّبَهُ خبّازك ولا طبّاخُك! قال: فمن طيَّبه؟ قال: العافية، قال الحجاج: تاللَّه إن رأيتُ كاليوم أخرِجوه.

● البيان والتبين للجاحظ

من أخبار البخلاء

قيل: بخلاء العرب أربعة، الحطيئة، وحميد الأرقط، وأبو الأسود الدؤلي وخالد بن صفوان، ونُقلت عنهم أمور دلت على بخلهم.

أما الحطيئة: فقد حكي عنه: أنه مر به ابنُ الحمامة، وهو جالس بفناء بيته، فقال له: السلام عليكم، فقال: قلتَ ما لا ينكر. فقال: إني خرجت من أهلي بغير زاد. قال: ما ضمنت لأهلك قراك. قال: أفتأذن لي أن آتي بظل بيتك فأتفيأ به؟ قال: دونك الجبل يفيء عليك. قال أنا ابن الحمامة، قال: انصرف وكن ابن أي طائر شئت.

قال: واعترضه رجل وهو يرعى غنما، فقال له: يا راعي الغنم، وكان بيد الحطيئة عصاً فرفعها، وقال: عجراء من سلم، (يقصد عصاه) فقال الرجل: إنما أنا ضيف، فقال: للأضياف أعددتها.

ومن حمقه أنه لما أخرجه عمر رضي الله عنه من الحبس، وعفا عنه بعد أن هجا الزبرقان. قال الحطيئة: إني والله يا أمير المؤمنين! قد هجوت أبي وأمي وامرأتي ونفسي، فتبسم عمر، ثم قال: ما الذي قلت؟ قال: قلت لنفسي:

أبت شفتاي اليوم إلا تكلماً ... بسوء فما أدرى لمن أنا قائله

أرى لي وجها شوه الله خلقه ... فقبح من وجهٍ وقبح حامله

فخلى عمر سبيله، وأخذ عليه أن لا يهجو أحدا، وجعل له ثلاثة آلاف اشترى بها منه أعراض المسلمين.

● نهاية الأرب النويري

الكلام حسب المقام

بلغني عن أبي إسحاق الفَزَاري قال: كان إبراهيمُ يُطيل السكوتَ، فإذا تكلم انبسط فقلت له ذاتَ يوم: لو تكلمتَ! فقال: الكلام على أربعة وُجُوه: فمنه كلام ترجو منفعته وتَخْشى عاقبَتُه، فالفضلُ منه السلامةُ. ومنه كلام لا ترجو منفعتَه ولا تخشى عاقبتَه، فأقلُّ ما لَكَ في تركه خفة المَؤُونة على بَدَنك ولسانك. ومنه كلامٌ لا ترجو منفعتَهَ وتخشى عاقبته، وهذا هو الدَّاء العُضال. ومن الكلام كلام ترجو منفعته وتَأمَنُ عاقبته، فهذا الذي يجب عليك نَشْره. قال: فقد أسقط ثلاثةَ أرباع الكلام.

● عيون الأخبار لابن قتيبة

من مواقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه

عن أبي بكرة أن أعرابيا وقف على عمر بن الخطاب فقال:

يا عمرَ الخير جُزيت الجنه ... أكسُ بُنياتي وأُمَّهُنَّه

وكن لنا من الزّمان جُنَّه ... أُقسم بالله لَتفعلنَّه

فقال عمر: وإن لم أفعل يكون ماذا؟ فقال: إذن أبا حفص لامضينَّه. قال: فإن مضيتَ يكون ماذا؟ فقال:

والله عنهنَّ لتُسألنه ... يوم تكون الاعطيات منَّه

وموقفُ المسؤول بينهنّه ... إما إلى نارٍ وإمَّا جَنَّه

فبكى عمر حتى اخضلّت لحيتُه ثم قال لغلامه: يا غلام أعطه قميصي هذا لذلك اليوم، لا لِشعْره ثم قال: والله لا أملك غيره.

● ربيع الأبرار للزمخشري

استعمالات اللغة العربية الجديدة إلى أين؟

14— الاستعمالات الخاطئة تفقد اللغة قيمتها التعبيرية :

إشكال جهل كثير من المثقفين العرب لغتهم

الأخطاء اللغوية بين سقطات العلماء وتقصير المثقفين

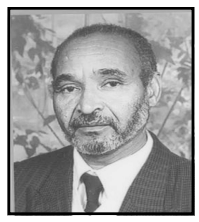

د. الحسين گنوان

كان الدافع الذي حملنا على استهلال هذه المقالة بهذا العنوان، هو ما لا حظناه -مما لم نطمئن إلى سلامة صحة استعماله- من الكلمات والعبارات في الفصل الثاني من كتاب اللغة العربية الصحيحة الذي عنوانه "اللغة الموضوع واللغة الأداة" ص 27. ومن هذا الفصل أخذنا مادة المقالات الأربع الأخيرة(65-66-67-369 من المحجة). وقد لا حظنا أن مادة المقالتين الثانية(366) والثالثة(367) تتضمن كلمات وعبارات يمكن إدراجها ضمن مادة الموضوع المعالج : (إشكال جهل كثير من المثقفين العرب لغتهم). وقد ناقشنا استعمال كلمتين مما لا حظنا أن استعماله في ذلك السياق الذي استعمله المؤلف فيه غير صحيح وهما كلمتا "خلق" و"الصنائع".

ونورد في هذه المقالة نماذج مما بقي من الأخطاء المفردة والمركبة دون تعليق حتى نفسح المجال لما نلتمس به عذرا للمؤلف كما يشير إلى ذلك الشطر الأول من عنوان هذه المقالة "سقطات العلماء" وفي حال عدم ثبوت هذا الوصف للمؤلف وفق ما سنعرضه في هذا السياق، فإن دلالة الشطر الثاني من العنوان تنطبق عليه وعلى أمثاله. ومن هذه الأخطاء ما يلي :

1- الكلمات المفردة، ومنها (اسم)(اتاح)، (مشكلات)

2- التراكيب وننتقي منها ما يلي لأجل التمثيل فقط

– قال : "ولذا نجد كثيرا من جهابذة النحاة والمهرة في صناعة العربية... إذا سئل (في) كتابة سطرين إلى أخيه..."ص 28 س 19.

– قال : "وأوصى بضرورة إجادة اللغة العربية كتابة وقراءة وتحدثا(في) كل من يقوم بالتدريس أيا كانت المادة" ص 30 س 12 يلاحظ بخصوص هذه الأمثلة التي جردناها من كتاب اللغة العربية الصحيحة مما وضعنا أغلبه بين قوسين في مقالتي العددين 366-367. أنها تنقسم إلى قسمين كلمات مفردة وتراكيب. لكن الواضح بالنسبة للكلمات أنها ليست محرفة في حد ذاتها. وإنما الخطأ واقع في استعمالها في سياق معين لا يليق بدلالتها في ذلك السياق. وقد ناقشنا بهذا الخصوص كلمتي (خَلَق)...

بهذا الخصوص كلمتي(خلق) في العدد 366. و"الصنائع" في عدد 367 ولأجل متابعة مناقشة ما وضعناه بين قوسين في المقالتين المشار إليهما في العددين المذكورين، سنستخرج كل ما وجدناه من الأمثلة الخاطئة المفردة والمركبة بصفة إجمالية لنناقش كل مثال منها بما يبدو لنا أنه الصواب في مقالات لاحقة إن شاء الله.

لكن قبل أن نبدي رأينا فيما نراه صوابا بخصوص هذه الأمثلة، ارتأينا أن نلتمس العذر للمؤلف لعل الأمر بخصوص بعض هذه الأمثلة يتعلق بسهو أو سقطة عالم، ولذا قدمنا لهذه المقالة بالعنوان الذي يتضمن جانبا من هذا العذر: "سقطات العلماء". وبالخصوص إذا كانت الأخطاء المرتكبة من صلب مادة التصريف. الذي سماه ابن عصفور "ميزان العربية" الممتنع27/14. وفي هذا السياق نورد نصا لابن عصفور يوضح فيه صعوبة هذه المادة وما يعتري العلماء من ضعف فيها، وفي هذا يقول : "والذي يدل على غموضه (والضمير يعود على التصريف الذي استهل به مقدمة كتابه الممتنع حيث قال : التصريف أشرف شطري العربية، وأغمضها) كثرة ما يوجد من السقطات فيه. لجلَّة العلماء، ألا ترى أن ما يحكى عن أبي عَبيَد من أنه قال في "مَنْدُوحة" من قولك "مالي عنه مندوحة" أي متسع : إنها مشتقة من "انْداح". وذلك فاسد لأن "انْداح" : "انْفعل" ونونه زائدة. و"مندوحة" : "مَفْعُولة"، ونونه أصلية، إذ لو كانت زائدة لكانت "مَنفُعْلَة" وهو بناء لم يثبت في كلامهم. فهو على هذا مشتق من"النَّدْحِ" وهو جانب الجبل وطرفه، وهو إلى السَّعة.

ونحو من ذلك ما يحكى عن أبي العباس ثعلب، من أنه جعل "أُسْكُفَّة الباب(هي خشبته التي يوطأ عليها، وقيل هي العتبة) من "استكف" أي : اجتمع، وذلك فاسد، لأن "استكف" : "استفْعَلَ"، وسينه زائدة، و"أُسْكُفَّة" : "أُفْعُلة" وسينه أصلية، إذ لو كانت زائدة لكان وزنه "أُسْفُعْلة" وذلك بناء غير موجود في أبنية كلامهم.

وكذلك أيضا حكي عنه أنه قال في "تَنُّور" إن وزنه "تَفْعُول" من النار. وذلك باطل، إذ لو كان كذلك لكان تَنْوُورا، والصواب أنه "فَعُّول" من تركيب تاء ونون وراء، نحو تَنَرَ، وإن لم ينطق به.

وقد حكي عن غيرهما، من رؤساء النحويين واللغويين، من السَّقطات نحو مما ذكرنا، إلا أنني قصدت إلى الاختصار، وفي هذا القدر الذي أوردناه كفاية. (الممتنع في التصريف 29/1-30)

تلك نماذج من سقطات العلماء اللغوية، وذلك هو المستوى الذي وقعت فيه من مستويات الدرس اللغوي العربي، وهو علم التصريف الذي وصفه المازني بأنه أغمض شطري العربية، ويتجلى هذا الغموض في عدم تمكن بعض الدارسين من التمييز بين الأصول والفروع أثناء الزيادة، وعدم التمييز بين الحروف الأصول والزائدة في الفروع، وما يترتب عن ذلك من خطأ في صياغة الوزن غير المناسب للفرع المزيد. وكل هذا يتطلب معرفة أصول الكلمات وأوزانها، وفروعها المشتقة منها، ومعرفة حروف الزيادة ومحل زيادة كل منها. وهذا معروف عند أهله. فبخصوص المثال الأول الوارد عندنا في النص الذي أوردناه لابن عصفور : "مندوحة" وما هو الأصل الذي يمكن أن يكون قد اشتق منه يقول سيبويه : "هذا باب ما تسكن أوائله من الأفعال".

أما (النون) فتلحق أولا(ويعني مزيدة) ساكنة تلزمها ألف الوصل في الابتداء، ويكون الحرف(ويقصد بالحرف هنا : الكلمة) على انْفعل.. إلى أن يقول : ولا تلحق النون أولا إلا في انفعل" ك282/4. وهذا النص يشهد لقول ابن عصفور "لأن "انداح" "انفعل" ونونه زائدة". وحروف الزيادة معروفة عند العلماء إلى درجة التفكك بالتراكيب التي تتضمنها. فقد "قيل : إن المبرد سأل المازني عنها، فأنشد المازني :

هَوِيتُ السِّمَانَ فَشَبَّبْنَنِي
وقَدْ كُنْتُ قِدْمًا هَوِيتُ السِّمَانَا

فقال: (أي المبرد) أنا أسألك عن حروف الزيادة، وأنت تنشدني الشعر، فقال : (أي المازني) قد أجبتك مرتين(ويعني بذلك الجملة المكررة في البيت : (هويت السمان)، فكل الحروف المذكورة فيها تزاد في الكلمات الفروع بما في ذلك حرف النون الذي نحن بصدد الحديث عنه في كلمة "مندوحة"). وقد جمع ابن خروف منها نيفا وعشرين تركيبا محكيا وغير محكى، قال: وأحسنها لطفا ومعنى قوله :

سألت الحروف الزائدات عن اسمها
فقالت ولم تبخل : أمان وتسهيل

وقيل : هم يتساءلون. وما سألتَ يهون، والتمسن هواي. وسألتم هواني. وغير ذلك (شرح الشافية 331/2)

رغم كل هذا التبسيط لتوضيح أحرف الزيادة، وما يماثله أو بقرب منه بالنسبة لجوانب هذه المسألة يخطئ البعض في أمثلة هذه المادة، فهل الأمر يتعلق بصعوبتها فعلا، أو غموضها أم يتعلق بتقصير البعض فيما ينبغي أن يقوم به من مراجعة وبحث وتنقيب في قواعد لغته حتى يسلم لسانه من الوقوع في مثل هذه الأخطاء. لهذا كان عنوان هذه المقالة مؤلفا من شطرين : أولهما زلات العلماء، وثانيهما تقصير المثقفين.

وبعد : فهل الأخطاء المثبتة في صدر هذه المقالة بنوعيها 1-2 من هذا النوع الذي نسميه على كل حال سقطات العلماء أم هي أقل من ذلك؟. وهذا ما سنحاول الإجابة عنه في الحلقة المقبلة إن شاء الله. ونحن نناقش الأمثلة التي لنا فيها وجهة نظر مما جردناه من كتاب : (اللغة العربية الصحيحة)

قسيمة الاشتراك

الاسم الكامل : .....

العنوان الكامل : .....

.....

الاشتراك السنوي (20 عددا) :

■ داخل المغرب : 60 درهما.

■ خارج المغرب : 20 أورو أو مايعادلها.

ترسل الاشتراكات باسم :

■ جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية.

■ أو **جريدة المحجة** على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين -فاس) رقم: **2111113412900014**

أما قسيمة الاشتراك والتوصيل فيبعثان إلى مقر الجريدة، على العنوان التالي :

جريدة المحجة (قسم الاشتراك) :

حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 - الدكارات

فاس - المغرب

بِنَبْضِ القلب

عجائب الدنيا ثمان

في بلاد العرب يمكن للمرء أن يصير مديونا لصندوق النقد الدولي وهو ما يزال نطفة في رحم الغيب، وإذا قدر الله له الخروج من بطن أمه يجد الهواء حوله مخلوطا بالهوان.. يحكى - من باب النكتة فقط- أن رئيسا لجهاز المخابرات بإحدى دول عربستان خرج ثملا من إحدى الحانات، فنسي أين ركن سيارته، فاتصل بمدير مكتبه صارخا : ابحث عن سيارتي، لقد سرقت مني، واتني بها خلال أربعة وعشرين ساعة وإلا...

فما كان من مدير مكتبه إلا أن أعلن حالة طوارئ بحثا عن سيارة الرئيس، غير أن هذا الأخير وبعد أن لطشه البرد واستعاد وعيه تذكر مكان سيارته، فأعاد الاتصال بمدير مكتبه طالبا منه أن يوقف البحث، فرد عليه المدير : ولكن يا سيدي لقد أسفر البحث حتى الآن عن اعتقال أزيد من ثلاثمائة مشتبه، وقد أقر أزيد من مائة منهم ضلوعهم في حادث سرقة سيارة سيادتكم؟!

هذه صورة للأنظمة البوليسية التي حكمت الكثير من جمهوريات عربستان، وكما أكد السوسيولوجيون فإن النكتة هي "ترمومتر" المجتمع الذي من خلاله يقاس نبض الشعوب وحالات التذمر والسخط المجتمعي، إن الربيع العربي ما هو إلا حالة رد فعل على صيف الأنظمة الاستبدادية الجاف والمحرق الذي اكتوت من خلاله الشعوب لعدّة عقود، حتى صدق فينا قول الشاعر :

فإن تكن عجائب الدنيا سبع
فنحن الثامنة(*)

(*) أحمد مطر (ديوان لافتات).

ذ. أحمد الأشهب

اللباس يصنع التاريخ

﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يومنون﴾(آل عمرن:26)

زمن الأنبياء

د. حسن الأمـــراني

المعركة الأبدية

ليست معركة الستر والعري معركة طارئة، إنها المعركة الأبدية...إنها الصورة المجسدة لمعركة الحق والباطل....خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، وكرمه وفضله على كثير من خلقه تفضيلا، وكان من مقتضيات التكريم أن استخلفه في الأرض، وحتى يشعر بحقيقة هذا التكريم أسجد له الملائكة... ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس﴾(لحجر :30). من هنا تبدأ المعركة بين الخير والشر... الشر الذي يمثله إبليس أكمل تمثيل...فما كان غاية إبليس من تلك المعركة، وما مقصده؟ لقد كان مقصوده أن ينزل آدم من عليائه وستره، وأن يتعرى...

خلق الله تعالى آدم وأسكنه الجنة، وأنعم عليه ومنّ عليه بنعم كثيرة، منها نعمة الملبس والمسكن والمطعم والمشرب، وتلك أمور من حق الإنسان أن ينالها، فإن اغتصبها منه أحد فمن حقه أن يطالب بها، ويقاتل من أجلها...وكما أن الجوع والعطش عذاب، فكذلك العري عذاب.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَى وَإِنَّكَ لاَ تَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَى﴾(طه :116- 119)

هذا وعد من الله لآدم: في الجنة، لا عذاب مطلقا، بل نعيم، ورفاهية عيش، من مأكل وملبس ومشرب واعتدال جو مناسب للمزاج.

«لا تضحى»، من شمس الضحى. قال في التحرير والتنوير: «وقد قُرن بين انتفاء الجوع واللباس في قوله: «ألا تجوع فيها ولا تعرى» وقرن بين انتفاء الظمأ وألم الجسم في قوله: «لا تظمأ فيها ولا تضحى» لمناسبة بين الجوع والعري، في أن الجوع خلو باطن الجسم مما يقيه تألمه وذلك هو الطعام، وأن العري خلو ظاهر الجسم مما يقيه تألمه وهو لفح الحر وقرص البرد، لمناسبة بين الظمأ وبين حرارة الشمس في أن الأول ألم حرارة الشمس والثاني ألم حرارة الظاهر. فهذا اقتضى عدم ذكر الظمأ والجوع، وعدم اقتران ذكر العري بألم الحر، وإن كان مقتضى الظاهر جمع النظيرين في كليبهما، إذ جمع النظائر من أساليب البديع في نظم الكلام بحسب النظائر من أساليب البديع في نظم الكلام بحسب الظاهر لولا أن عرض هنا ما أوجب تفريق النظائر»(1).

وقد أقسم إبليس على غواية آدم. فإلى أي النعم التي كان فيها آدم توجه الشيطان؟

لقد توجه إلى تجريد خصمه من نعمة اللباس. قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا﴾(الأعراف :27).

فعلام كان التوجه إلى إزالة نعمة اللباس دون غيرها من النعم؟

لأن سبيل إغواء آدم بصرفه عن المسكن والمطعم والمشرب أمر مستحيل، حيث لا غنى للإنسان عن تلك النعم، وتلبيس إبليس فيها أمر مستحيل. فلن يستطيع البشر- طبيعة- الاستغناء عن المطعم والمشرب والمسكن. وأما اللباس، فهو وإن كان ظاهرة إنسانية، ولا يستغني عنه الإنسان، إلا أن التلبيس فيه قائم وجائز. فالإنسان السوي ذو الفطرة السليمة يأبى التعري، ويرفض التخلي عن اللباس، إلا أن غواية الشيطان تدخل من باب آخر، ظاهره الرحمة وباطنه من قبله العذاب، وهو باب التزين والتفنن الذي قد يكون أمرا طبيعيا، فإذا أصابه انحراف تحول إلى تبرج وتكشف، أو إلى ستر يكون العري أفضل منه...فتثار الشهوات، فإذا نحن أمام ما حذر منه الرسول، ﷺ، من أمر (الكاسيات العاريات)«نساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسهنّ كأسنمة البخت المائلة»(2).وقد وجد أولئك الذين انحرفت فطرتهم طريقاً منظما إلى العري، حيث أسسوا «أندية العراة»، ولبّسوا على الناس في تسمياتها بأسماء ليس فيها إثارة، مثل «نادي البحر المتوسط».

إلا أن ظاهرة العري، مهما ألقى أصحابها لأنفسهم من صيغ وأطر، تظل ظاهرة منبوذة، ينظر إليها بعين الاستنكار من كل المجتمعات. إن عددا من دور الأزياء، وعددا من المهرجانات التي ترفع "الفن" شعاراً لها، وعددا من الوصلات الإشهارية التي تزخر بها كثير من الفضائيات، وعددا من المواسم التي يقال عنها إنها مواسم سياحية، كل أولئك ليس غير مزمارة الشيطان الداعية إلى نبذ أول برقع معنوي، وهو برقع الحياء....فإذا سقط ذلك البرقع المعنوي تبعه سقوط البراقع المادية، وإذا ذهب الحياء سهل بعد ذلك على جنود إبليس أجمعين أن يأمروا أشياعهم فيغيروا خلق الله.

عندما بدأ في العالم الإسلامي، منذ القرن التاسع عشر، ما سمي بمعركة السفور والحجاب، كان دعاة السفور يرفعون شعار الحرية والتحرير، وكثير من الناس لا يعلم أصل تسمية «ميدان التحرير»، وهو من أشهر ميادين القاهرة...إن أصل هذه التسمية لا علاقة ها بالحرية والتحرير، ولا علاقة لها بمحاربة المستعمر الذي كان يجثم على كثير من بلاد المسلمين، بل أطلق على ذلك الميدان "ميدان التحرير" لأن زعيمات حركة السفور نزعن في ذلك الميدان برقع الحياء، ومزقن سترهن، وخرجن ملوحات، وكأن أقصى ما يطمح إليه دعاة الحرية هو أن تنزع المرأة عن وجهها ورأسها ونحرها لباسها الشرعي، في انصراف عن قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُومِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾(الأحزاب :60).

ولعل الله عز وجل أن يكون قد أراد أن يطهر هذا الميدان من دلالة أصل تسميته، ليصبح فعلا ميدانا للتحرير، بعد الثورة المباركة التي ذهبت بطاغوت من طواغيت العصر.

ومن مكر الماكرين أن أولئك الذين رفعوا شعار الحرية من أجل أن تنسلخ المرأة المسلمة عن هويتها، هم الذين يتصدون اليوم للائي يفئن إلى أمر الله عز وجل، وهم الذين يحاربون الحرية، ويرفعون شعار: «لا حرية لأعداء الحرية» و «لا ديمقراطية لأعداء الديمقراطية»، وما شابه ذلك من الشعارات، ويرون في منديل تغطي به تلميذة رأسها، أو امرأة تتعفف عن إبداء زينتها للأجانب تهديدا للعلمانية والحداثة والديمقراطية...وهؤلاء لا يتورعون عن استعمال أقسى أدوات الضغط والترهيب ضد ما يرونه خارجاً عن الخط الذي هم يسيرون فيه...

إن هذا يذكرنا بمعركة العمامة والقبعة أوائل زمن تركيا الكمالية...لقد نصبت المشانق لأصحاب العمائم الذين رفضوا أن يستبدلوا بعمائمهم القبعات الغربية...وكان الناس، زمنا، يصبحون وعيونهم على أجساد معلقة لرجال تعبث الريح بعمائمهم ولحاهم.(3)

أو ليس من الغريب أن تمنع المرأة من ارتداء لباسها الشرعي في بلدها المسلم، ويعتبر منها ذلك جرما تعاقب عليه وينعت بأنه "لباس طائفي" ، مثلما كان يسميه حاكم قرطاج المخلوع؟ وأي طائفية يعبر عنها الحجاب في بلد كل ساكنيه مسلمون؟ ولكنها الحرب على الله عز وجل تتخذ صورا ومظاهر كثيرة.

1- الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير، في تفسير سورة طه.
2- رواه مسلم، وذكره النووي في رياض الصالحين.
3 - لمن أراد التوسع أن ينظر في مذكرات رضا نور، أو كتاب "الرجل الصنم".

بارقة

''ألقِ التحية''

أ.د.
عبد السلام الهراس

قبل بضع سنوات قام أحد السياسيين البارزين في هولندا بإقامة لوحة كبيرة في أحد شوارع روتر دام كتب عليها : "ألقِ التحية" بغية إفشاء روح الألفة والمودة بينهم..

ويقول إن عمله هذا بدأ يؤتي ثماره، وإنه يعتزم نقل هذه الفكرة إلى تسعة شوارع أخرى بعد النجاح الذي صادفته.. وقد صُدِم عندما انتقل إلى هذه المدينة الكبيرة حيث لا يتبادل الناس التحية كما تعود ذلك في قريته الصغيرة. بل إن إلقاءك التحية على أحد في هذا البلد الكبير يثير الشكوك حولك فربما تكون مجرما أو معتوها فيأخذ مخاطَبُك الحذرَ منك حتى تتوارى عن نظره.

وهذا الهولندي لم يلاحظ في بلده أن المسلمين هنالك ما يزالون يحتفظون بهذه السنة، فيتبادلون السلام فيما بينهم كما يفعل المسلمون في أوربا كلها ولم يحظ أيضا بالاطلاع على الإسلام الذي يحث أتباعه على أن يفشوا السلام بينهم، هذا السلام الذي هو مفتاح المحبة، والمحبة أساس الإيمان، والمسلم مأمور أن يسلم على من عرف وعلى من لا يعرف، كما أنه مأمور أن يرد السلام ولو على غير المسلم، وتحية الملائكة لأصحاب الجنة عند الدخول إليها : ﴿سلام عليكم طبتم فادخلوها آمنين﴾ وديننا هو دين "الإسلام" والجنة دار السلام وخروج المسلم المصلي من صلاته : «السلام عليكم» إيذانا بأن نهاية العبادة فريضة ونافلة إفشاء السلام ونشر السلام والحياة بسلام لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر..

لقد شرع هذا الهولاندي في تشجيع الناس على هذه الفضيلة الإسلامية العريقة التي عرفها المسلمون منذ مبعث رسول الله ﷺ بعد أن رأى قومه في المدن الكبيرة لا يتسالمون ولا يتبادلون التحايا بينهم بل ينظرون إلى المحيِّي بريبة وحذر وخوف، لكن الذي يحز في النفس أن مدننا الكبيرة بدأت تفقد هذه السنة، فيمر بك الرجل دون أن يسلم كما تعودنا قبل الاستقلال ولاسيما في الشوارع "الراقية"، بل إننا أصبحنا أمام ظاهرة أخطر من ذلك وهي عدم تعارف الجيران فيما بينهم في العمارات الكثيرة الدور أو الشقق، وكذلك في الدارات الواسعة والفيلات المستقلة، بل يموت بعضهم في العمارة فلا يعلم جاره بذلك وربما يعلم فلا يمشي في جنازته وقد لا يُعزِّي..

إننا في عصر الاتصال قد دخلنا في حياة الانفصال، والسبب في ذلك أساسا سوء التربية داخل الأسرة المسلمة التي بدأت تنشئ أبناءها على سوء الظن بالآخرين وعلى عدم التدخل فيما لا يعنيهم، وفي ذلك إعانة الناس ومواساتهم ونصرة المظلوم وإغاثة الملهوف وتوقير الكبير والعطف على الصغير، وكذلك سوء التربية والتوجيه في المدرسة، أما الجامعة فلم تعد تُعنى بالأخلاق والسلوك، أما إعلامنا الرسمي والحزبي والتجاري فحصة الأخلاق لم تعد من اهتمامه، بل إن بعض وسائل الإعلام تبدو كأنها مصممة على تخريب الأخلاق لاحتفالها فقط بالجنس وأخباره وقصصه وأفلامه الداعرة والمدمرة وصوره المغرية، ومن وسائل الإعلام ما يتعلق تعلقا يوميا بالجريمة والجنس وصور العاهرات والفنانات الأجنبيات ا لمثيرات للشهوات، ولذلك لا نعجب أن نرى الشارع يعكس الغياب التام أو شبه التام للتربية الإسلامية في البيت والمدرسة والإعلام والمجتمع..

إن المغرب المسلم بدأ يفقد كثيراً من سلوكه الحضاري، ومن أهم ذلك السلام والأمن والأمانة، ولا ينفع لعلاج ذلك هراوة الشرطة ولا سجون وزارة القوانين أو العدل، ويبدو أننا مقبلون على مجتمعات متدابرة يلعن بعضها بعضاً بعد أن كا نت متحابة يسلم بعضها على بعض.

إعتذار

في العدد الماضي وقع خطأ في بداية الفقرة الثانية من مقال المستعربة والمستغربة :
الخطأ : وبعد ذلك بسنتين كان فتح مكة.
الصواب : وبعد ذلك ببضعة أشهر كان فتح مكة.
فمعذرة للأستاذ الدكتور عبد السلام الهراس وللقراء الكرام.